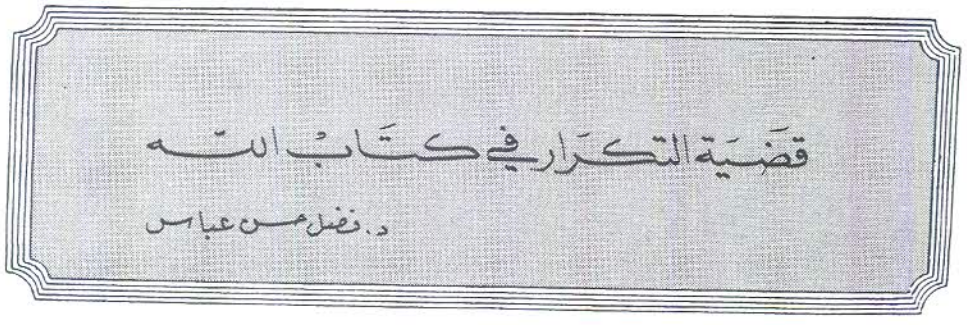

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها، مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودُهم وقلوبُهم إلى ذِكْر الله ، «وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلْفه» ، «إنا جعلناه عربيا لعلكم تعقلون ، وإنه في أمّ الكتاب لديْنا لعليٌ حكيمٌ» .

ويسرني أن أتقدم بهذا البحث، الذي عالج قضية من قضايا إعجازه البياني ـ سائلا الله التوفيق ـ وهي قضية التكرار ، والتي استغلها بعض الحاقدين على هذا الكتاب، ويعلم الله أنها نُطْلع الذي يدرُسها بتمعُّن ونَصَفَةٍ، على جانب مشرق من جوانب الاعجاز البياني لهذا الكتاب.

وهذا البحث يشتمل على تمهيد عرضت فيه لآراء بعض العلماء والائمة قدامى ومحدثين، في شأن التكرار، وفصول ثلاثة خصص الاول منها لآيات العقيدة وتحدث الفصل الثاني عن دعوى التكرار في القصة، وخصص الفصل الثالث والاخير لما سمى تكراراً من حيث اللفظ.

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه ، وأن ينفع به ، إنه سميع قريب ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

التكـــرار

تمهيـــد :

إن قضية التكرار ذات صلة وثيقة بموضوعنا الذي نتحدث عنه، وتلك قضية بدهية، ذلك أننا نجد في النَّظْم مواضع متشابهة، سمّاها بعض الباحثين تكرارا ، والحق أن هذه الموضوعات ذات صلة وثيقة بالإعجاز. فالناظرون في كتاب الله تعالى من أجل تلاوته وتدبُّره ، أو بهدف التشكيك والطعن ، يجدون لأول وهلة أن هناك قضايا ذُكرَت أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع كالقصص وموضوعات العقيدة ، وبعض الجمل والآيات ، وسمَّوا ذلك تكرارا .

ومع إجماعهم على هذه التسمية، إلا أنهم اختلفت فيه مذاهبهم، وتعددت مشاربهم، وتلك طبيعة في أحوال الناس، بل هي سُنّة من سنن الله في هذا المجتمع البشري، فالكثرة الكثيرة من هؤلاء مسلمين كانوا أم غير مسلمين، رأوا أن في هذا التكرار سحر بيان، وتثبيت بنيان، فعدّوه بلاغة وإعجازاً، ووجدوا فيه منهجا قويما ، وهدفا عظيما من مناهج التربية وأهدافها، وحاولوا أن يبرهنوا على ذلك ببراهين، مما عرفته العرب في كلامها شعرا ونثرا، وأن يقيموا عليه الأدلة مما قرره علماء النفس وعلماء الاجتماع، وأساطين التربية، ذوو الاختصاص في فنّ الاعلام والدعاية .

وفئة قليلة عميت أو تعامت هيمن عليها الحقد ، فعدّت هذا مَثْلبه ومطعنا في كتاب الله، وهؤلاء لم يظهروا إلا بعد أن فسد الذَّوْق البياني، وضعفت السليقة العربية، ولذا رأينا أن أباطيل أولئك لم تظهر مبكرة، فلم نسمع شيئا عنها حتى من أعداء القرآن، الذين كانوا ذوي سلائق سليمة في اللغة ، بل على العكس من ذلك، وجدنا أن هذا القرآن يملك عليهم كل شيء، وإن لم يؤمنوا به، هذه الأباطيل ـ إذن ـ ظهرت فيما بعد، حينما فسد المزاج اللغوي، واجتمع الطاعنون على دين الله من كل صوب، وتألبوا حسدا عليه، فبدأ الحديث عن شبهة التِكرار. فكان لابد أن يشمّر

* المجلة :

(١) كررّ الشيء تكريرا وتكراراً أيضا بفتح التاء وهو مصدر، وبكسرها وهو اسم ـ مختار الصِّحاح .

العلماء عن سواعد الجِدّ ليردّوا إلى النحور الظالمة سهام الحقد.

الاقدمون والتكرار :

عرض المفسرون والكاتبون في علوم القرآن ، والدراسات القرآنية لهذه القضية، فلم يألوا جهدا في دراستها ، ولعل من أقدم الذين عرضوا لقضية التكرار عرضا موجزا مركّزا، إمام أهل السنّة اللغوي ابن قتيبة[1]، قال رحمه الله : «وأما تكرار الأنباء والقصص ، فان الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، بفرض بعد فرض، تيسيرا منه على العباد، وتدريجا لهم إلى كمال دينه، ووعظ بعد وعظ، تنبيها لهم عن سِنَةِ الغَفْلَةِ، وشحذا لقلوبهم بتجدد الموعظة ، وناسخ بعد منسوخ، استعبادا لهم، واختبارا لبصائرهم. يقول الله عز وجل : «**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**» (الفرقان ـ ٣٢)[2].

ثم يقول «وكانت وفود العرب ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا لهم. وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسّور المختلفة، فلو لم تكن الانباء والقصص مثنّاة ومكررة لوقعت قصّة موسى الى قوم، وقصةعيسى الى قوم، وقصة نوح الى قوح، وقصة لوط الى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع ويثبّتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير.

وليست القصص كالفروض، لأن كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تُنْفَذُ الى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة ، وعددها وأوقاتها، والزكاة وسُنَّتها ، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وهذا مالا تعرف كيفيته من الكتاب ، ولم تكن

---

(١) ابو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي، العالم الكبير، اللغوي الناقد والكاتب والاديب والحافظ والمؤرخ والراوي الصادق، والمفسر المحدث المحيط بمشْكل وغريب كتاب الله وسنن نبيه، أصله فارسي من مدينة مرو، يقال : ولد في الكوفة، ويقال في بغداد سنة ٢١٣ هـ وتوفى سنة ٢٧٦ هـ أول ليلة من رجب.

(٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ـ تأويل مشكل القرآن، بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ص ١٨٠.

تنفذ بقصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الانبياء، وكان هذا في صدر الاسلام قبل إكمال الله الدين، فلما نشره الله عز وجل في كل قطر، وبثّه في آفاق الارض، وعلَّم الأكابرُ الأصاغرَ، وجُمع القرآن بين الدّفتين، زال هذا المعنى واجتمعت الأنباء في كل مصر وعند كل قوم[1].

ثم جاء امام آخر من أئمة اهل السنة اللغوي المحدّث، ابو سليمان الخطّابي[2] في رسالته «بيان إعجاز القرآن» فبعد أن بيّن وجوه إعجاز القرآن ـ كما يراها ـ كرَّ على شُبَهِ المعارضين والمعاندين، ومنها شبهة التكرار وهو ما يعنينا هنا. قال رحمه الله: «وأما ما عابوه من التكرار، فإن تكرار الكلام على ضربين: أحدهما مذموم، وهو ما كان مستغنًى عنه غيَر مستفادٍ به زيادةَ معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلا من القول ولَغْوا، وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والضرب الآخر ماكان بخلاف هذه الصفة، فإن ترْك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة اليه أو بأزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة الى الحذف والاختصار، وانما يحتاج اليه ويحسن استعماله في الامور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها، والاستعانة بقدرها، وقد يقول الرجل لصاحبه بقصد الحث والتحريض على العمل: عَجِّل عَجِّل، ارْمِ ارْمِ، كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب: مهم مهم مهم، ونحوها من الامور، وكقول الشاعر:

هَلاّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنَا ؟

وقول الآخر:

يَالِ بَكْرٍ انْشُرُوا لي كُلَيْبا يَالِ بَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَار؟

---

(١) المرجع السابق ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (٣١٩ ـ ٣٨٨هـ) = (٩٣١ ـ ٩٩٨) فقيه محدّث من أهل بست من بلاد كابل، له معالم السنن وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح غلط المحدثين وله شعر. توفي في بست.

وقد اخبر الله عز وحل السبب الذي من أجله كرر الأقاصيص ، والأخبار في القرآن ، فقال سبحانه : «لقد فصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون» وقال تعالى «وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكْرا»[1].

مما سبق ندرك أن اباسليمان ـ رحمه الله ـ يحدد شرطين اثنين لكي يكون التِكرار مذموما :

أحدهما : أن لايكون هناك حاجة تدعو اليه.

ثانيهما : أن لايكون في الكلام المكرر زيادة.

أما اذا كان المكرر زيادة على ماذكر أوَّلا ، وكان في الأمور المهمة التي تَعظُم العناية بها ، فإن ذلك تكرار محمود ـ كما يقول الخطابي رحمه الله ـ ونحن إذ نوافق الشيخ من جهـة ، لكننا نخالفه من جهة أخرى ، وسنرجيء مناقشته بعد ان نستمع لعالم آخر ، وهو الإمام الزركشي[2] ـ رحمه الله ـ فلقد أشار في كتابه «البرهان» إلى التكرار في القرآن بعامّة ، وإلى التكرار في القصة بخاصة ، فبعد أن بين أن التكرار أسلوب من أساليب العرب ، وأن الكلام حينما يكرر ، فانه في النفوس يقرر ، وعاب على الذين ينكرونه ، وعرّفه بقوله :ـ

«وحقيقة الله اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى ، خشية تناسي الأول لطول العهد به ، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه ، كقوله تعالى «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ».

---

(١) الخطابي : بيان اعجاز القرآن ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، الطبعة الثالثة : دار المعارف بمصر.

(٢) الامام بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ، أحد العلماء الذين نجموا من بمصر في القرن الثامن ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ ، حينما كانت معمورة بالمدارس ، انتظم في حلقات الدروس وتفقه بمذهب الشافعي وهو جهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد ، وعلم من اعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين ، كان منقطعا إلى الاشتغال بالعلم ، لا يشتغل عنه بشيء ، وله اقارب يكفلونه أمر دنياه ، توفى بمصر في رجب سنة ٧٩٤ هـ.

فاعاد قوله «قل الله اعبد مخلصا له ديني» بعد قوله «قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصا له الدِّينَ»، لا لتقرير الأول بل لغرض آخر، لأن معنى الأول الأمر بالاخبار أنه مأمور بالعبادة لله، والاخلاص له بها، ومعنى الثاني أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والاخلاص . . واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا، ولهذا لا يتجه سؤالهم. ولم كرر «إياك» في قول «إياك نعبد وإياك نستعين[1]».

وبعد هذا التعريف ذكر فوائد التكرار، وفي مقدمتها التأكيد، ولكنه قال بعد ذلك : إن التكرار أبلغ من التأكيد.

ومما سبق نجد أن الخطابي والزركشي متفقان على أن ما ذكر في كتاب الله تعالى أكثر من مرة، كان فيه في كل مرة زيادة معنى، ومع ذلك سمياه تكرارا. ونحن إذْ نعجب من الزركشي اذ عرّف التكرار بأنه اعادة اللفظ أو مرادفه، مع أنه في موضع آخر من كتابه ينكر الترادف في كتاب الله تعالى، ولكننا نعترف له بلمحة طيبة جيدة، وهي أن ماذكر أكثر من مرة لتقرير معنى واحد هو الذي يسمى تكرارا، أما إذا كان لتقرير معنى آخر، فليس من التكرار في شيء، وكذلك قوله «إنه يسأل عن حكمة التكرار لم خرج عن الأصل ؟ «أي إذا صعُب علينا أن ندرك الحكمة من ذكر اللفظ أكثر من مرة، أما مالم يخرج عن الاصل فلا يسأل فيه عن حكمة التكرار، كقوله تعالى «اياك نعبد واياك نستعين».

تعريف التِكرار :

نحن لسنا مع الخطابي في عدّه من التكرار ما كان فيه زيادة معنى، ولسنا مع الزركشي في تعريف التكرار بأنه إعادة اللفظ أو مرادفه.

والتكرار ـ كما نراه ـ هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، فإذا لم يتوفر هذان الشرطان، اي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة، ولكن

---

(١) الزركشي ـ البرهان في علوم القرآن ـ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم : دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧، الطبعة الاولى ، جـ٣ ص ١٠ ، ١١

لكل موضع سياقه الخاص، ومعناه الخاص، فان ذلك لا نسميه تكرارا أبدا. هذا هو التعريف الدقيق للتكرار كما يظهر لنا.

المحدَثون والتكرار :

ولقد عرض بعض الكاتبين المحدَثين لقضية التكرار ومن هؤلاء كاتب العربية والإسلام، الأستاذ مصطفى صادق الرافعي[1] رحمه الله، فعند حديثه عن أسلوب القرآن، وما امتاز به هذا الأسلوب، وما انفرد به من خصائص، فيعُد التكرار إحدى هذه الخصائص والميزات، وحديث الرافعي من حقه أن لا يوجَز وأن لا يختصَر، يقول رحمه الله :

«وهاهنا معنى دقيق في التحدي، ما نظن العرب الا وقد بلغوا منه عجبًا : وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنّة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، الى مايكون هذا الباب، وهو مذهب للعرب معروف، ولكنهم لايذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم : للتهويل والتوكيد، والتخويف والتفجع وما يجري مجراها من الأمور العظيمة، وكل ذلك مأثور عنهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة.

بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته وأنهم يُخَلُّون عنه[2] لقوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها إلا توهُّما، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة، لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين أو صور كل منها

---

(١) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن عبد القادر الرافعي (١٢٩٨ ـ ١٣٥٦هـ) = ١٨٨١ ـ ١٩٣٧) عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، مولده في بَهْتِيم (منزل والد أمه) ووفاته في طنطا، أصيب بصمم فكان يكتب له مايراد مخاطبته به، شعره نقيّ الديباجة على جفاف في أكثره، ونثره من الطراز الأول (الأعلام جـ٧ ص ٢٣٥).

(١) يتركونه بلا معارضة، والتخلية : الترك.

غير الأخرى وجها أو عبارة وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة، ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون.

فهـذا لعمـرك أبلغ في الاعجاز وأشد عليهم في التحدي، إذ هو دليل على مجاوزتهم مقدار العجز النفسي الذي قد تمكن معه الاستطاعة أو تتهيأ المعاريض حينا بعد حين، إلى العجز الفطري الذي لا يتأول فيه المتأول ولا يعتذر منه المعتذرون ولا يجري الأمر فيه على المسامحة.

وقد خفى هذا المعنى (التكرار) على بعض الملحدة وأشباههم ومن لا نفاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأتي بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة وأحالوه إلى النقص والوهَن، وقالوا إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسَعة، وهو ـ أخزاهم الله ـ كان أروع وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها، ولو أعجزهم أن يجيئوا بمثله ما أعجزهم أن يُعيِّيوه لو كان عَييًا.

وفي بعض ذلك التكرار معنى آخر فطن إليه بعض علمائنا ولم يكشف لهم عن سره، وأول من نبّه عليه الجاحظ في كتاب (الحيوان) إذ قال:

ورأينـا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، وأخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام «أي كأن ذلك مبالغة في إفهامهم وتوسع في تصوير المعاني لهم وتلوينها بالألفاظ، إيجازا في موضع وإطنابا في موضع إذ كانوا قوما لا سليقة لهم كالعرب وليسوا في حكمهم من البيان، فلا يمضي كلامه لسَننِه بلا اعتراض من تنافر التركيب وثقل الحـروف وجفـاء الـطبيعة اللغوية، فلهذا ونحوه كان لابد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح، بخلاف العرب، فإن الخطاب يقع إليهم على سنن كلامهم من الحـذف، والقصـد إلى الحجـة، والاكتفاء باللمحة الدالة وبالاشارة الموحَى بها، وبالكلمات المتوسَّمة، وما يجري هذا المجرى، وهو قول صحيح في الجملة بيد أنهم أخطأوا وجه الحكمة فيه[1]».

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: دار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ ص ١٩٣.

ومنهم الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه «إعجاز القرآن» و «القصص القرآني» كما عرض لها الأستاذ محمد قطب في كتابه «الدراسات القرآنية» والنتائج التي يمكن أن تستفاد من هذه الدراسات أن التكرار قد يكون للتأكيد، وما جاء منه في كتاب الله تعالى، فإنما قصد منه التأثير في النفوس، وبخاصة اذا كانت الموضوعات المكررة موضوعات مهمة، كالعقيدة التي أراد القرآن أن ترسخ في النفوس، وتثبت في أعماق القلوب ـ وهذا الذي قرره الخطابي كما رأينا من قبل.

ويذكر الأستاذ محمد قطب أن ما في القرآن مما يُظن أنه تكرار، إنما هو متشابه[1]. ويمثله بثمار الجنة، ويضرب لذلك أمثلة كثيرة من كتاب الله. أما الاستاذ الخطيب[2]، فلقد فصّل فيما يخص القصة القرآنية من التكرار، مبينا بعض الامور التي تُوهِم التكرار في القَصص القرآني.

ومنهجنا ان نعرض لهذه القضية، مستلهمين من القرآن الكريم ما يفتح به لنا ربنا، وهو الفتاح العليم.

على أننا لاننكر على الذين ذهبوا لوجود التكرار في القرآن، معللين هذا بأنه لايخرج عن الأساليب التي عرفتها العرب، وبأنه أنما يراد به التأثير في النفوس حتى يقرر فيها ما يكرر. أقوال: لاننكر على أولئك، وليس معنى هذا أننا نتفق معهم فيما ذهبوا إليه ونؤثر أن نرجيء الحكم بعد أن نعرض لهذه القضية من جميع جوانبها. فنقول وبالله التوفيق:

الموضوعات التي عرض لها القرآن مع كثرتها، نجملها في هذه الأمور الرئيسية الثلاثة:ـ

١ ـ الأحكام: وتشمل ما اصطلح عليه فيما بعد العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والحدود، وما يتصل بهذا من الآداب والقيم.

---

(١) الاستاذ محمد قطب، دراسات قرآنية: دار الشروق ـ بيروت، ص ٢٤٥.

(٢) الاستاذ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: دار الفكر العربي ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥، ص ٢٣٨ وما بعدها.

٢ـ العقيدة : وتشمل الألوهية والرسالة واليوم الآخر، وما يتصل بهذا من الأمثال والحقائق.

٣ ـ أما الموضوع الثالث فقَصص الأنبياء عليهم السلام، وأخبار الأمم الماضية.

وقد أجمعوا على أن لا تكرار في آيات الاحكام، وإنما يمكن أن يكون فيه تكرار هما الموضوعان الأخيران ، آيات العقيدة والقصص، هذا من حيث الموضوع.

أما من حيث اللفظ ، فقد قالوا إن هناك جملا أو آيات ذكرت أكثر من مرة، مما يوجب القول بأنها مكررة.

ومن هنا كان لزاما علينا أن يكون حديثنا في هذا البحث عن آيات العقيدة والقصة وتكرار الجمل والآيات.

الفصل الاول
آيات العقيدة

ولنبدأ بآيات العقيدة التي يجمع الباحثون على أنها كررت في كتاب الله لقصد نبيل وهدف شريف.

أولا : آيات الالوهية :

وهي التي تقرر صلة العالم ـ والعالم كل ماسوى الله مما يعلم به سبحانه ـ بخالقه، من حيث احتياجه للخالق سبحانه. وقد تحدثت الآيات عن خلق الانسان والحيوان والنبات والسماوات والأرض وما عليها. أما آيات خلق الانسان فلقد ذكرت فيما يقرب من أربعين موضعا، ولنقتصر على بعض هذه الآيات حسب ترتيب النزول:

١ ـ في أول نجم نزل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق**» (العَلَق ـ ١، ٢).
٢ ـ في سورة عبس «**من أي شيء خلقه، من نطفة خلقه فقدره**» (الآية ١٨، ١٩).
٣ ـ في سورة القيامة : «**أيحسَب الإنسان أن يترك سُدى ألم يك نطفة من منيٍ يُمْنىٰ ثم كان علَقة فخَلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**» (الآيات ٣٦ ـ ٣٩).
٤ ـ ماجاء في سورة المرسلات «**ألم نخلقكم من ماءٍ مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون**» (الآيات ٢٠ ـ ٢٣).
٥ ـ ماجاء في سورة البلد «**لقد خلقنا الانسان في كَبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد، يقول أهلكتُ مالا لُبداً، أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين**» (الآيات ٤ ـ ٩).
٦ ـ ماجاء في سورة الطارق «**فلينظرِ الإنسان ممَّ خُلق، خلق من ماء دافق يَخرج من**

بين الصُّلب والترائب» (الآيات ٥ ـ ٧).

٧ ـ يس «أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين» (آية ٧٧).

٨ ـ الفرقان «وهو الذي خلق من الماء بَشَرا فجعله نسبا وصِهْرا» (آية ٥٤).

٩ ـ فاطر «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا» (آية ١١) و «ومن الناس والدوابِّ والأنعام مختلفٌ ألوانه» (آية ٢٨).

١٠ ـ الواقعة «نحن خلقناكم فلولا تصدِّقون ، افرأيتم ما تُمنون، ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدَّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ، على أن نبدِّل أمثالكم وننشئكم في مالا تعلمون ـ ولقد عِلْمتُم النشأة الأُولى فلولا تذكَّرون» (الآيات ٥٧ ـ ٦٢).

١١ ـ الحِجْر «ولقد خلقْنا الانسان من صَلصال من حَمَإٍ مسنون» (آية ٢٦)

١٢ ـ الأنعام «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمُستقر ومستودع» (آية ٩٨)

١٣ ـ الصافّات «فاستفتِهِمْ أهُمْ أشد خلْقا أمَّن خلقنا إنا خلقناهم من طينٍ لّازبٍ» (آية ١١).

١٤ ـ الزُّمَر «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها» (آية ٥٦).

١٥ ـ غافر «الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناءً وصوَّركمْ فأَحسن صُوركم» (آية ٦٤).

هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشُدَّكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يُتوفَّ من قبل ولِتبلغوا أَجلا مسمى ولعلكم تعقلون» (آية ٦٧).

وتستمر الآيات الكريمة تحدثنا عن خلق الانسان ، وليس من غرضنا أن نستقصيها جميعا، ومن أنعم النظر في الآيات التي ذكرناها لا يمكن أن يدّعي أن فيها شبهة تكرارٍ، فكل آية ـ كما رأينا ـ تتحدث عن قضية غير التي تتحدث عنها الآية الاخرى، يقول أستاذنا الشيخ محمد محمد السماحي : «تبصر في هذه الايات وكيف رتبها هذا الترتيب العجيب، الذي يتفق مع التربية العلمية والنفسية جميعا، فقد نبههم أولا على أن الانسان مخلوق من عَلَقٍ، وقد علمت أنه لايُطلق إلا بعد تعلُّق الخلية الذكرية الانثوية ، وتفاعلهما في الرحم، ومن العلق هذا ينشأ الذكر تارة،

والأنثى تارة اخرى، وتأتي نظرية توقف العلة على معلولها، ولابد من أول لهما، ولابد من خالق ابتدأ السلسلة بوجه ما. ثم تكلم على أحد طرفي العَلَق وهو الخليَّة التي من شأنها أن تسعى حتى تصل أختها الاخرى. التي تنتظرها في مكان الخلق والتقدير، فكيف سعت؟ وكيف تلاقت؟ ثم كيف خلق وقدَّر في هذا المكان؟ ثم كيف تيسر له السبيل وكيف استكمل حياته ومات وقُبر؟ ثم ينتقل خطوة أخرى فنبَّهه إلى أن النُّطفة التي خُلق منها على هذا الوجه السابق أمنية مقدرة من مقدِّر حكيم، يتمنى الماني والمستمني بلوغ غايتها في إنتاج الولد ذكرا أو أنثى، ثم تأخذ على حسب التقدير لسيرها المقدر لها، فتكون علقة فتُخلَق فتُسوَّى فيكون منها الزوجان الذكر والأنثى، فكيف خُلقت وكيف سُوِّيت؟ ثم كيف تحولت إلى ذكر تارة وأنثى تارة، مع أن المعمل الذي تكون فيه الخلايا الذكرية أو الانثوية انما هو معمل واحد[1]».

وقد يتساءل بعضهم أليس من التكرار في آيات خلق الانسان ماجاء في هاتين السورتين المتجاورتين سورة الحج وسورة المؤمنون؟ ففي سورة الحج «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ» (آية ٥) وفي سورة المؤمنون «وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾» (الآيات ١٢ ـ ١٤) ونرد على هذا التساؤل بأن قضية التكرار في هاتين الآيتين منتفية كل الانتفاء، فلقد اختصت كل منهما بأمور لم ترد في الأخرى.

أما ما يُظنّ اشتراك الآيتين فيه، فبعيد عن التكرار كذلك، فآية الحج جاء التعبير فيها بكلمة (ثم) وآية المؤمنون جاء التعبير فيها بالفاء، فلكل من الآيتين غرض يختلف عن الآخر. آية المؤمنون جاءت تبين تَعاقُب الأطوار كما يُفهم من الفاء التي هي للترتيب والتعقيب ـ كما يقول النحويون ـ، وآية الحج جاءت تبين كل طور من هذه الأطوار، لابد أن يمر بمراحل وأطوار حتى يبلغ الطوْر الآخر، فللنطفة أدوار

---

(١) مذكرات في التفسير الموضوعي لطلبة الدراسات العليا ص ٦.

وللعلقة أدوار.

آيات خلق الانسان ـ إذن ـ على كثرتها وتعددها، نجد أن لكل آية منها هدفا وغاية، والذي يزعم أن فيها تكرارا، مثله كالذي يدّعي أن جهاز التنفس في الانسان، والجهاز الهضمي والدموي، أجهزة مكررة يمكن أن يُغني عنها جهاز واحد، وما نظن أحدا يجرؤ على قول مثل ذلك.

وكذلك حينما نستعرض الآيات التي تحدثت عن خلْق الحيوان والنبات، نجد كل آية تحدثت منها عن خاصية هذا النوع أو ذاك، قال تعالى «وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ . وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾» (النحل ٥ ـ ٨) «وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» (النور ـ ٤٥) «أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ» (النحل ـ ٧٩) «أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَـٰنُ».(الملك ـ ١٩) «وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» (الانعام ـ ٣٨).

وفي الحديث عن النبات نقرأ قول الله تعالى «فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ غُلْبًا وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ» (عبس ـ ٢٤ ـ ٣٢). وقوله تعالى «وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (الأنعام ـ ٩٩) ونقرأ قوله سبحانه «وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ

لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (الرعد ـ ٣، ٤).

وهكذا الآيات جميعا التي تحدثت عن هذين النوعين، نجد أن كل آية كريمة توجه أنظارنا الى موضوع مستقل، وتفتح لنا بابا جديدا من ابواب العلم، وتضع ايدينا على دقائق في هذا الكون، وتشير الى حقائق حِريّ بها أن تدرس درسة جادّة مفصلة.

وكذلك الآيات التي تحدثت عن السماوات والارض، وما فيهما من جبال وأبحر ونجوم وكواكب، مما يطول بنا بحثه واستقراؤه واستقصاؤه، ولكن الغرض الذي نرمي اليه ونرجو ان نكون قد أصبناه، هو انتفاء التكرار في موضوع الخلق، والذي هو أكثر الموضوعات التي عرض لها القرآن في قضية الألوهية.

ومثل قضية الخلق قضية الوحدانية فالأدلة التي جاءت بها الآيات الكريمة متنوعة متعددة، ويكفي لذلك أن نقف عند بعض الآيات الكريمة التي تحدثت عن الوحَدانية، في سورة المؤمنون «ما اتخذ الله منْ ولَدٍ وما كان معه من إلٰهٍ إذًا لذهب كل إلٰهٍ بما خَلق ولعَلَا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون» (آية ـ ٩١) وفي سورة الانبياء «لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا فسبحان الله ربِّ العرش عما يصفون» (آية ـ ٢٢) وفي سورة الشورى «ليس كمِثْله شيءٌ» (آية ـ ١١). إن كل آية من هذه الآيات توجه العقل الى دليل وتسمو به إلى برهان يختلف عن غيره.

ثانيا : الرسالة :

إن ايات الرسالة في القرآن الكريم ذات مراحل متميزة، لكل مرحلة خصائصها، ابتداء من مرحلة الإنذار ومرورا بمرحلة الأدلة وردّ الشبهات والإجابة على الاقتراحات وانتهاءً بمرحلة التحدي . . والمتأمل في هذه المراحل وفي الآيات الكريمة التي تحدثت عنها يجد أن كل آية عرضت لموضوع، وعالجت قضية ذات شأن، ممّا يجعل القاريء المتدبر لا يرتاب في جِدَّة هذه الموضوعات والقضايا، وبالتالي يصل الى قناعات لا تحوم حولها شائبة بأنه لا تكرار في الايات التي تتحدث عن الرسالة.

ولنضرب لك مثلا :

(١) الأدلة التي جاء بها القرآن برهانا على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم : هذه الأدلة كانت تستند إلى التاريخ تارة، وإلى الواقع تارة أخرى، أما أدلة التاريخ فلم تقف عند حِقْبة واحدة من حقب الدهر، وإنما كانت في عمق هذا التاريخ، كما أنها لن تقف عند بيئة واحدة لكنّها ارشدت إلى اكثر من بيئة كذلك. أما الواقع فتجده تارة يستند إلى سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرى الى ما منّ الله به على أولئك . . . «وقالوا إن نتّبعِ الهُدَى معك نُتخطَّفْ من أرضنا أوَ لم نمكِّنْ لهم حَرَما آمنا يُجْبَي إليه ثمراتُ كلِّ شيء رزقا من لدُنَّا ولكنَّ أكثرَهُم لايعلمون» (القَصص ـ ٥٧).

ويستند تارة ثالثة إلى مافي هذا الكون من آيات. كل ذلك تجده جاء على غير وتيرة واحدة ، متسقا مع السياق الذي ذكره فيه.

(٢) آيات التحدي :

وأنت إذا وقفت مع هذه الآيات ، وجدتها أبعد ماتكون عن قضية التكرار ، فتارة «فليأتوا بحديثٍ مثله» (الطور ـ ٣٤) وأخرى «بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ» (هود ـ ١٣) وثالثة «بسورةٍ مثله» (يونس ـ ٣٨) ، وأخيرا «بسورة من مثله» (البقرة ـ ٢٣).

تارة «وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم [١]» ، وتارة «وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم. [٢]» تارة « فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ [٣]» وتارة « فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ [٤]».

ولا يدورنّ بخَلَدك أن هذه العبارات جميعها ذوات معنى واحد، بل انها اختلفت لفظا واختلفت معنى كذلك.

---

(١) سور هود ـ آية ١٣ ، وسورة يونس آية ٣٨

(٢) البقرة ـ ٢٣

(٣) هود ـ ١٤

(٤) البقرة ـ ٢٤

ويصعب أن نتتبع الآيات التي تحدثت عن الرسالة في جميع أطوارها وأدوارها، راجين أن يكون ما اجتزأناه كافيا ومغنيا ، وما على القاريء الا أن يتتبع آي الذكر الحكيم، ليَسْعَد ويَنْعُم، ويكون معي في كل ما أدّعى وأزْعُم، من أن لا تكرار في الآيات التي تحدثت عن الرسالة.

ثالثا : البعـــث :

بقي من موضوعات العقيدة قضية البعث : وللبعث في كتاب الله شأن عظيم لانجده في أيّ كتاب آخر ، فالإيمان باليوم الآخر هو أحد بل أعظم أركان الإيمان، والمتدبر لايات الكتاب الكريم والسنة المشرفة يدرك ذلك لأول وهلة، لذلك كان لابد أن يستفيض الحديث عن اليوم الآخر في كتاب الله تعالى.

يقرر مبدأ البعث بما لانجده في أي كتاب ـ كما قلت ـ لامن حيث المضمون والحقائق فحسب، بل من حيث الأسلوب والدليل، فمن حيث المضمون والحقيقة يحرص القرآن الكريم والسنة المطهرة كذلك، على التأكيد والتقرير لبعث الأجسام، لتحازَى كل نفس بما عملت، وأن الثواب والعقاب قد يكون كل منهما ماديّا وروحيا، وليس كما يقرر الفلاسفة ومن تبعهم من أصحاب الكتب السماوية فيما بعد، من أن البعث والنعيم والثواب كل أولئك أمور رُوحانية فحسب.

أما من حيث الأسلوب ، فرغم خطورة الموضوع، وشدة ارتباطه بالعقل ، إلا اننا نجد أن اسلوب القرآن في تقرير البعث يثير المشاعر، ويهيج الوجدانات والعواطف ، ويهيب بالعقل بل يحتم عليه أن يبحث ويستنتج ، يدرك هذه الحقيقة من قارن بين أسلوب القرآن الكريم في إثبات البعث واسلوب المتكلمين فيما أقاموه من أدلة.

ولا تظنَّن أيها القاريء أنني حاولت أن ابتعد بك عن موضوع البعث، فأنقلك إلى موضوعات تتشابه وتتشابك فيما بينها، وإنما كانت تلك مقدماتٍ ـ لا بد من أن نعـرفها وأن نحيط بها ـ مدخلا لموضوعنا، وأساسا لما نودّه من تقرير لوجود أو نفْي التكرار في كتاب الله فيما يخص عقيدة البعث.

والناظر في كتاب الله يجد الحديث عن البعث مبثوثا في سوَر القرآن الكريم، لا مكيِّها فحسب، بل مدنيِّها كذلك، وكي نصل الى ما نوده من نتائج، ولكي يكون حكمنا على الامور دقيقا، يجمل بنا أن نتدبر هذه الآيات ولو تدبُّرا اجماليا فماذا سنجد ؟؟

لا يساورني شك بأنك ايها القاريء حينما تتدبر آيات البعث في كتاب الله وعقيدة اليوم الآخر، فستجد أمورا ثلاثة حرص القرآن الكريم على إبرازها والحديث عنها، وهذه الامور كما ظهرت لي بعد بحث هي :

أولا : الحديث عن طبيعة هذا اليوم ، اليوم الاخر.
ثانيا : الحديث عما يكون فيه مما يقع من أحداث.
ثالثا : عن الأدلة التي سلكها القرآن لإثبات هذا اليوم، بما يقنع العقول ويمتع العواطف.

أما أولا :

فلقد حدثنا القرآن الكريم عن طبيعة هذا اليوم ، ولكن حديث القرآن لم يكن على وتيرة واحدة، وإنما كانت هناك حقائق متنوعة متعددة، يبرزها في آياته ذات الروعة والاعجاز، فهو اليوم الاخر أو الدار الآخرة تارة، ويوم القيامة أو يوم الجمع تارة، او يوم التغاين ويوم الفصل تارة ثالثة. ثم نجد الحديث في هذا اليوم الاخر أو الدار الاخرة بأوصاف متميزة، فتارة هي الساعة، وأخرى هي الطامَّة أو الصاخَّة، وفي موضع الحاقَّة أو القارعة او الواقعة، إلى غير ذلك من أوصاف كل واحد منها انما يضيف للعقل جديدا، لأنه يتحدث عن خصيصة لهذا اليوم، لانجدها في موضع آخرى من الآيات، كل هذا لشحْذ الهمم وتنبيه النفوس وايقاظ العقول، لأن تحسِب لهذا اليوم حسابا، وان تعي هذه النتيجة الاخيرة وهي أهم النتائج وأولاها بالتقدير، لأنها الغاية بل غاية الغايات، وهي قوله سبحانه «فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» (آل عمران ـ ١٨٥).

ثانيـا :

أمـا ما يكون في هذا اليوم فلقد كانت هناك حقائق كثيرة أبرزتها آي الذكر الحكيم، سواء منها ما يحدث لهذا الكون والحياة ، أم للمخلوقات.

أما ما يحدث للكون فنقرؤه في مواضعَ كثيرة من كتاب الله، من انشقاق السماء وانفطارها، « إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ »(١) « إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ »(٢) « وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ »(٣) « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ »(٤) « وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا »(٥) « يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ »(٦) « وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ »(٧) وهكذا الأرض تمد لتلقى مافيها تتخلى عنه، وكأن ماكانت تحتفظ به تأبى أن تتنازل عنه لأحد، وذلك لابدّ له من زلزلة عظيمة. إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا(٨).

أمـا مافي السماوات فستكوَّر الشمس، وتنكدِر وتُطمس النجوم، وتَنتثر الكواكب، هكذا بهذا التعبير المعجز الذي يدلنا على التفرقة بين الكواكب والنجوم، يُخسف القمر ويُجمع الشمس والقمر.

أمـا ما على الارض فستفجر البحار وتسجر، أما الجبال فستكون كالعهن المنفوش ثم تدك « إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ، إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا »(٩) وهكذا تسير الجبال فتكون سرابا، وبعد ذلك كله تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات.

---

(١) الانشقاق ـ ١
(٢) الانفطار ـ ١
(٣) المرسلات ـ ٩
(٤) الفرقان ـ ٢٥
(٥) النبأ ـ ١٩
(٦) المعارج ـ ٨
(٧) الزمر ـ ٦٧
(٨) الزلزلة ـ (١ ـ ٥)
(٩) الواقعة (١ ـ ٦)

هذا ماتشير إليه الآيات الكريمة منذ أن يُنفخ في الصور فيُصعق من في السماوات ومن في الارض. إلا من شاء الله، نقرأ ذلك كله حديثا رائعا عن الاحداث المروّعة في هذا الكون.

أما مايحدث للخلائق فيحدثنا القرآن الكريم حديثا مستفيضا، ولكنه كذلك يُبرز حقائق متنوعة متعددة، فلا تَجزي نفس عن نفس شيئا في هذا اليوم، لأنها لا يُقبل فيها عَدْل ولا يؤخذ منها شفاعة، بل لا تنفعها شفاعة كذلك الا شفاعة أَذن بها الله الحي القيوم، فمنذ أن تخرج الخلائق من الأجداث صراعا كانهم الى نُصُب يوفضون وكأنهم جراد ينتشر، يحدثنا القرآن الكريم عن الهواجس النفسية والتمنيات والاعتذارات، وفي كل آية حقيقة جديدة.

كما يحدثنا عن المراحل التي تمر بها الخلائق في هذا اليوم ابتداءً من نشر الكتب ليُعطي كلٌ كتابَه بيمينه أو شماله، أو من وراء ظهره ليقرأ كلٌ كتابَه «اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا[1]».

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة الحساب، وهو حساب سريع، لاظلمَ فيه ولا نسيانَ. ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة الميزان، «فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[2]» «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ[3]»، «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ[4]» وأمُّه هاوية.

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي مرحلة الصراط «وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا[5]»، وبعد ذلك يكون الحديث عن الجنة والنار وما فيهما، مما أُعِدَّ لأهلهما من أمور مادية أو معنوية، ذلكم هو حديث القرآن عما في هذا اليوم.

(١) الاسراء - ١٤
(٢) المؤمنون - ١٠٢
(٣) القارعة - ٧
(٤) المؤمنون - ١٠٣
(٥) مريم - ٧١

ثالثا :

بقيت الأدلة التي سلكها القرآن مبرهنا بها على هذا البعث، وكان يمكن ان يسكت القرآن عن هذه الأدلة، فهو الذي لا يتخلف وعده، ومن اصدق من الله قيلا، ولكننا مع ذلك نجد الأدلة مبثوثة في هذا القرآن على الحقائق التي يقررها، سواء كانت هذه الحقائق تتعلق بوحدانية الله، أم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، أم بإثبات أن هذا القرآن من عند الله، وكذلك لاثبات اليوم الآخر. والعجيب أن أدلة القرآن الكريم أدلة متنوعة من هذا الكون، ومن الانسان نفسه، بل نجدها أدلة هى في حقيقتها نِعَم من نعم الله على هذا الإنسان في هذا الكون ، ولا نود هنا أن نعرض لهذه القضية بالتفصيل فذلك له موضوع آخر في غير هذا الموضع ان شاءالله ، لكن الذي يهمنا هنا، أن ننظر إلى أدلة البعث وسنجد هذه الادلة سلك القرآن بتقريرها مسالك متعددة، لكنها جميعها سهلة ميسرة، فقد تكون هذه الأدلة مما يحيط بهذا الإنسان في هذا الكون، ومما هيِّء لراحته وإمكانات وجوده على هذه الارض « أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ، وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ، لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا » (النبأ ٦ ـ ١٧) .

وقد يسلك بالدليل طريقا آخر، فينتزع من نفس الانسان وما يمر به من أطوار، وما يشاهد في شأن ما يقيم صُلبه ويصلح شأنه ويُبهجُه فيما يراه «يا أيها الناس ان كنتم في رَيْب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علَقة ثم من مُضغة مخلَّقة وغير مخلقة لنُبيِّنَ لكم ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجُكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يُتَوَفَّ ومنكم من يرد الى ارذل العمُر لكي لا يَعلم من بعد علْم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربَت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا رَيْب فيها وان الله يبعث من في القبور، ومن الناس من يجادل

في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير» (الحج ـ ٥ ـ ٨) أرأيت إلى هذين الدليلين اللذين جيء بهما لإثبات البعث، أحدهما «إن كنتم في رَيْب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب» فهو دليل مستمد من الأنفس، والثاني «وترى الأرض هامدةً» فهو مستمَد مما هو حول الانسان ومما لا حياةَ بدونه، ما أعظمَهما في تأثيرها، وما أروعَهما في امتاعهما، وما أبدعَهما في احاطتهما، وما اقنعهما في حجتهما ومنطقهما، واذا صح ما ذكره المفسرون من قول الله تعالى : «ومنَ الناس من يجادِل في الله بغير علْم ولا هُدى ولا كتابٍ منيرٍ» نزل في النَّضْر بن الحارث الذي قيل أنه جاء بأخبار وحكايات من خارج بلاد العرب، فكان يقرؤها للناس ليَشغلَهم عن القرآن، إذا صح ذلك فما أشبه الليلة بالبارحة ونحن نرى ان الذين ينكرون عقيدة البعث، يشبهون النضر بن الحارث، فلقد جاءوا بهذه الأقوال من غير البيئة الاسلامية.

وقد يسلك في دليل البعث مسلكا آخر وهو مسلك عجيب ملفت للنظر، مدهش للألباب. انه دليل الضدِّية، إنه يبرهن على وجود الشيء من ضده، فالمنكرون للبعث تتلخص شبهاتهم في وجود الحياة من اللاحياة، فكيف يَنتُج الشيء من ضده، كيف يكون النقيض من نقيضه ؟ يقول الله في هذا «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۝ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (يس، ٧٨ ـ ٨٣) هكذا جعل من الشجر الأخضر نارا، والخضرة تتنافى مع النار، بل تضادُّه، لأنها ناتجة عن الماء وهكذا تتعدد الأدلة القرآنية لإثبات البعث.

وقد يُفصِّل دليلٌ ما يُجْمِله الآخر فإنزال الماء على الأرض الذي ورد مُجمَلا في الآية السابقة، نجد فيه تفصيلا في آية أخرى كقوله سبحانه في سورة الأعراف «وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الأعراف ـ ٥٧) وقد يكون الدليل جملة واحدة مرتكزة في فطرة الإنسان، كأنما هي

بدهية تُدرَك لأول وهلة، وذك كقـوله تعالى «وهو أَهْوَن عليه» (الروم ـ ٢٧). وقد جاءت في قوله تعالى في سورة الروم «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده وهو أَهْونُ عليه وله المثل الاعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم» (آية ـ ٢٧) وهكذا الادلة المبثوثة في كتاب الله تعالى، وليس غرضنا الاستقصاء، فما ذكرناه فيه الغُنية والكفاية.

من ذلك كله يُوقن كل منصف ذي بصيرة، أن التكرار الذي ادّعى في آيات العقيدة أمر لا مسوِّغ له ولا ضرورة، وما أشبهه بآيات الأحكام التي يجمعون على عدم التكرار فيها، مع أن الموضوع الواحد منها قد يُذكر في أكثر من سورة، فآيات الطلاق، وآيات الحج، وآيات الجهاد، ذكرت في سور متعددة من سور القرآن الا ان كل سورة كان يذكر فيها ما لا يذكر في السورة الاخرى. فآيات الطلاق مثلا ذكر بعضها في سورة البقرة، وبعضها في سورة الطلاق وهي التي تسمى سورة النساء الصغرى، وبعضها في سورة الاحزاب، وآيات الحج ذكر بعضها في سورة البقرة، وبعضها في سورة آل عمران، وذكر بعضها الآخر في سورة الحج، ولم يدَّع أحد أن ذلك من التكرار، كذلك آيات العقيدة، كما رأينا.

الفصل الثاني
القَصص القرآني

الذين نظروا الى القصة القرآنية ، ووجدوا القصة الواحدة تذكر في أكثر من سورة، ظنوا أن ذلك من باب التكرار، ولكن الدارس المتأمل ستؤدي به دراسته المتأنية الى النتيجة التي استخلصناها من آيات العقيدة ، وهي انها لا تحوم حولها شائبة تكرار. وسنوجز لك الحديث عن القصة من حيث التكرار، وسندع النتيجة لك كذلك، لتستخلصها أنت، وأُحيلك إن اردت مزيدا على كتابنا (القصص القرآني) في إيحائه ونفحاته.

ولْنضرب لك مثلا بما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى ، لنَبيَّنْ اثنين عليهما وعلى أنبياء الله ونبينا صلاة الله وسلامه، سيدنا نوح، وسيدنا موسى، ولنأخذ نماذج ثلاثة لكل من الرسولين عليهما السلام بادئين بقصة سيدنا نوح عليه السلام.

فالنموذج الأول ما جاء في سورة العنكبوت « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ » (الايتان ١٤، ١٥). وهذه القصة القصيرة مع قصرها وإيجازها فلقد جاءت موفية للغرض الذي سِيقت من أجله. كما جاء فيها على قصرها مالم يذكر في غيرها، وهي المدة التي لبثها نوح عليه السلام في قومه.

وهذه قصة نوح في سورة (المؤمنون) جاء فيها قوله سبحانه « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ» (الآيات ٢٣ ـ ٢٦) ويوحى الله تبارك اليه بان يصنع الفلك، وأن لا يخاطبه في الذين ظلموا فهم مغرَقون، « فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ وأنت

ٱلْمُنزِلِينَ » (المؤمنون ٢٨ ـ ٢٩).

هذه قصة نوح في سورة (المؤمنون) جاءت بين الإجمال والتفصيل. وجاءت على هذا النسَق كذلك في سورة الأعراف والشعراء والقمر ولكنها في كل سورة من هذه السور الاربع لم تكن سواء، بل كانت كل قصة منسجمة مع السورة التي ذكرت فيها، موضوعا وأسلوبا، ولذا كان في كل قصة جزئيات لم تذكر في القصة الاخرى.

ولكن قصة نوح ذكرت مطولة مفصَّلة في سورتَيْ نوح وهود عليهما السلام. وأنت حينما تتدبر القصة في السورتين، تجد أن كلا منهما تشتمل على قضايا وجزئيات وأحداث لا توجد في غيرها، مما يجعلك توقن غير مرتاب، أن لا تكرار في قصة نوح عليه السلام.

أما قصة موسى عليه السلام، فقد ذُكرت موجزةً في سورة النازعات، مطوَّلةً في سورة الأعراف، وما بين هذا وذاك في سورة يونس، وكانت كل واحدة لها أسلوبها المتميز. ولو أردنا ان نذكر ما في سورة لطال الحديث.

اتساق القصة مع موضوع السورة :

وما على القاريء الا أن يفتح كتاب الله، سائلا الله ان يفتح له في فهمه، فيتدبر مافيه، وسيجد أن كل قصة جاءت تتناسب وتتسق مع موضوع السورة في شخصيتها، فقصة موسى في سورة النازعات، هذه السورة ذات المقاطع القصيرة القوية الفخمة الجزْلة، ذكر فيها قوله سبحانه عن فرعون، « فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ » (الايات ٢٣ ـ ٢٥). وقصة موسى عليه السلام في سورة الزُّخرف ذكر فيها ما يتناسب مع اسم السورة الكريمة، وما بنيت عليه، وما ذكر فيها من إسراف المعرضين، ومن رفْع بعض الناس فوق بعض درجات، ليتخذ بعضُهم بعضا سِخْريًّا، وهي التي ذكر فيها قول فرعون حينما نادى في قومه متباهيا « أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ » (آية ٥١)، وقصة نوح عليه السلام جاءت قصيرة في سورة العنكبوت، وهي السورة التي بدئت بقوله تعالى « الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » (آية ١، ٢)، فهي

سورة الـدعـاة الذين جاهدوا في الله، وهم يرجون لقاءه، ولذلك جاءت قصصها قصيرة كأنما هي لقطات تذكّر الدعاة الى الله بصعوبة الأمر وخطورته.

ويطول بنا الأمر إذا أردنا أن نتتبع القصص القرآني في سوره، فتلك قضية لا يتسع لها مثل هذا البحث، ولكننا نجزم ونوقن بأن كل متأمل لكتاب الله تعالى يجزم كذلك، بأن القصص القرآني ليس فيه تكرار من جهة، ومن جهة ثانية فان كل قصة ذكرت في السورة التي تلائم موضوعها، وتتسق مع شخصيتها، سواء كان ذلك من حيث أسلوب السورة، أم من حيث جزئياتها وأحداثها.

يقول العلامة المصلح الأستاذ محمد الخِضر حسين[1]، شيخ الأزهر الأسبق: «أنه لا تكرار في القصص القرآني وانما كل قصة في سورة، فيها من المعاني والحِكَم مالا يوجد في سورة أخرى، وسياق السورة وظَرفها يحددان موضع العبرة من القصة، فليس من السهـل أن يقال: في كل سورة جاءت فيها قصة موسى مع فرعون إنها قصة واحدة، بل الواجب أن ندرس القصة في كل سورة، ليتبين السياق الذي جاءت من أجله، والعبرة التي هدفت لها، والحكمة التي قصدت منها.

ويمثـل الشيخ بقصـة آدم، ويقول: «أنها وردت في ست سور، في البقرة والأعراف والحِجْر والإسراء والكهف وطه[2]. ففي سورة البقرة وردت القصة في سياق تذكير الناس بنعمة الله، والعجب من أنهم يكفرون به، فكانت القصة تدور على هذا التذكير من جعل آدم خليفةً، وتعليمه الأسماء كلها.

وفي سورة الأعراف، وردت هذه القصة في سياق أن الناس قليلا مايشكرون الله، الذي مكّنهم في الارض، وجعل لهم فيها معايشَ ولذلك أسهبت القصة في موقف إبليسَ من الإنسان.

---

(١) محمد الخِضْر حسين بن على بن عمر الحسيني التونسي (١٢٩٣ ـ ١٣٧٧هـ) = (١٨٧٦ ـ ١٩٥٨) ـ عالم إسلامي، اديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجْمعين العربيّين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر، ولد في نقطة في بلاد تونس وتخرج بجامع الزيتونة، ودرس فيها، وأنشأ مجلة السعادة العظمى، وترأس تحرير مجلة نور الاسلام، ولواء الاسلام، له تآليف منها: حياة اللغة، و«الخيال في الشعر العربي»، «ومناهج الشرف» و«الدعوة إلى الإصلاح».. (الأعلام جـ ٦ ص ١١٤).

(٢) ولم يذكر سورة (ص).

وفي سورة الحِجْر، وردت القصة في سياق خَلْق الانسان من طين، والجنّ من نار، فليست مادة أفضل من مادة وهذا ماركّزت عليه القصة.

أما سورة الاسراء فقد وردت قصة آدم في سياق فتنة الناس، ولذلك كان الاسهاب فيها، في واقعة إبليس وعدائه لآدم وذُريّته[1]».

ويقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ «يرد القَصص في القرآن في مواضع ومناسبات» وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها، هي التي تحدد مساق القصة، والحلْقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدَّى بها، تنسيقا للجو الرُّوحي والفكري، والفني الذي تُعرض فيه. وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقى إيقاعها المطلوب.

ويحسب أناس أن هناك تكراراً في القَصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سُوَر شتَّى. ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلْقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القَدْر الذي يساق، وطريقة الاداء في السياق. وأنه حيثما تكررت حلْقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار[2]».

ولقد عرض الزركشي ـ رحمه الله ـ لفوائد التكرار في القصص القرآني، ومع أننا لا نسميه تكرارا ـ كما قلتُ ـ ومع أن ما ذكَره ايضا قد يكون بعضه متداخلا في بعض، وقد تكون الاسباب التي ذكرها أكثر وجاهة من بعضها الاخر، الا ان فيه فوائد يجمل للقاريء أن يقف عليها، لذا رأينا أن ننقل كلامه كما جاء. قال رحمه الله : «ومنه تكرار القصص في القرآن ، كقصة إبليس في السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبياء، قال بعضهم : ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعا من كتابه وقال ابن العربي في القواصم : ذكر الله قصة نوح في خَمسٍ وعشرين آية، وقصة موسى في سبعين آية، انتهى. وإنما كرر لفائدة خلت عنه في الموضع الاخر وهي أمور :

أحدها : أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئا، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى

---

(١) مجلة لواء الإسلام، والعدد السابع، السنة الرابعة ص ٥٣٧ ـ ٥٥٤.

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن جـ١ ص٦٤، الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧.

عليه السلام وذكرها في موضع آخر ثعبانا، ففائدته أن ليس كل حية ثعبانا، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته، أو قصيدته كلمة لصفة زائدة.

الثانية : أن الرجل كان يسمع من القرآن ثم يعود الى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين، وكان أكثر من آمن به مهاجريا فلولا تكرُّر القصة لوقعت قصة موسى إلى قومٍ وقصة عيسى إلى قومٍ آخرين وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين وهم الحاضرون وعبّر عن هذا ابن الجَوْزيّ وغيره.

الثالثة : تسليته لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم مما اتفق للانبياء مثله مع أممهم قال تعالى : « وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ » . (هود - ١٢٠).

الرابعة : أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفَى ما فيه من الفصاحة.

الخامسة : أن الدواعي لا تتوافر على نقلها كتوافرها على نقل الاحكام فلذا كُرِّرت القصة دون الأحكام.

السادسة : أن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الأتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين واوضح الامر في عجزهم، بأن كرر ذِكْر القصة في مواضع، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نَظْم جاءوا ، بأي عبارة عبّرواقال ابن فارس : وهذا هو الصحيح .

السابعة : أنه لما سَخِر العرب بالقرآن قال «فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ » (البقرة ٢٣) وقال في موضع آخر « فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ » (هود ١٣ ؛ فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد، واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى : «فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ» «ايتونا انتم بسورة من مثله» فانزلها سبحانه في تعداد السور، دفعا لحجتهم من كل وجه.

الثامنة : أن القصة الواحدة من هذه القصص، كقصة موسى مع فرعون وإن ظُنَّ أنها لا تُغاير الأخرى، فقد يوجد في ألفاظها زيادةٌ ونقصان وتقديم وتأخير وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الالفاظ فان كل واحدة لابد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه، لا يوقَف عليه إلا منها دون غيرها، فكأن الله تعالى فرَّق ذِكْر ما دار بينهما وجعله أجزاءً ثم قسَّم تلك الاجزاء على تارات التكرار لتُوجَد متفرقةً فيها ولو جُمعت تلك القصص في موضع واحد لأشْبَهت ما وجُد الأمر عليه من الكتب المتقدمة، من انفراد كل قصة منها بموضع، كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام، خاصّة فأجتمعت في هذه الخاصية من نظْم القرآن عدة معان عجيبة، منها أن التكرار فيها مع سائر الالفاظ لم يوقع في اللفظ هُجْنَة، ولا أحدث مللا فبايَنَ بذلك كلامَ المخلوقين، ومنها أنه ألبسها زيادة ونقصانا وتقديما وتأخيرا ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظُه واحدةً بأعيانها، فيكون شيئا معادا فنزَّهه عن ذلك بهذه التغييرات.

ومنها ان المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد البليغ ـ لما فيه من التغيير ـ ميلا إلى سماعها لما جُبِلَت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الإلتذاذ به مستأنفة.

ومنها ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظْم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يَعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغيير النظم وبيان وجوه التأليف فعرّفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ولا يقع على كلامه عدد[1]».

ومما تقدم نستطيع أن نُصدر حكمنا الآن، من أنه لا معنى أبدا للقول بأن هناك تكرارا في القصص القرآني بل إن كل قصة جاءت فريدة فيما تقصده وتهدف اليه، وما مثل القائلين بالتكرار إلا كمثل الذي يزعم أن اليد في الإنسان كررت، وأن أصابع

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ٣ ص ٢٥ ـ ٢٨.

اليد الخمسة إنما هي إصبع واحد، وصدق الله «ولقد صَرَّفْنا في هذا القرآن للناس من كل مَثَلٍ وكان الإنسان أكثر شيء جَدَلا». والحق أن موضوع القصة موضوع ثريّ بالقِيَم غني بما فيه براهين على الإعجاز القرآني والإطالة ربما تُخرجنا عن قصدنا لذلك نرجو أن يكون ما ذكرناه وافيا بما أردنا ولله الحمد في الاولى والاخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث
جانب الألفاظ

ذلك الذي قلناه في موضوع التكرار من قبل ، كان الحديث فيه عن الموضوعات القرآنية (آيات العقيدة والقصص) ولكنّ هناك موضعا آخر أدُّعى فيه التكرار ، ونعنى به ما جاء في كتاب الله تعالى من جمل أو آيات، ذكرت فيه أكثر من مرة، في مواضع متفرقة سواء كان ذلك في سورة واحدة من القرآن، أم في سور متعددة. ونحن حينما نكتب هذه الفصول لا نكتبها دفاعا عن القرآن لنرد على الحاقدين من اصحاب الشبهات فحسب ، فالقرآن لاريب فيه، وانما نكتبه بهدف أول ما نهدف ـ ونحن فرحون سعداء ـ ان يعلم ذوو الغيْرة على هذا القرآن، روعة الإعجاز ومواطن الإيجاز ، فيعتز بذلك الكتاب أيّما إعزاز. وسنحاول ألاّ نقتصر على ما ذكروه مما اشتهر، كالذي جاء في سورة الرّحمن وهو قوله سبحانه «فبأي آلاء ربكما تكذِّبان»، وقوله «ويلٌ يومئذ للمكذِّبين» في سورة المرسلات، بل سنحاول أن نذكر ما يفتح الله به لنا،ونحن نتتبع آي الذكر الحكيم، لأننا كما قلت لن نقف موقف المدافعين ، لكننا ننبه العقول لمواطن الحجج، لنقيهَا كلَّ غفلة ولَجَج ، ونشوِّق النفوس ونحن ننتقل بها في روضات الجنات للآيات المحكَمات :ـ

١ ـ فمن ذلك قوله تعالى «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُم لا يَرجعونَ» (البقرة ـ ١٨) وقوله تعالى (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعقلونَ» (البقرة ـ ١٧١ ذُكرت الآية الأولى في سياق الحديث عن المنافقين بعد قوله سبحانه «مَثلُهمْ كَمَثلِ الذي استوقَد ناراً» وذُكرت الثانية في سياق الحديث عن الكافرين «ومثَلُ الذين كفروا كمثَل الذي ينعِقُ بما لا يَسمعُ إلاَّ دعآءً ونـدآءً». ومن أجل ذلك ختمت الاولى بقوله سبحانه «لايعقلون»، لأن كلا من الجملتين يتسق ويتناسب مع الآية التي ذكرت فيها وهكذا نجد أن كل واحدة ذكرت في سياق خاص، وهذا أبعد ما يكون عن التكرار.

٢ ـ ومن ذلك ماجاء في قصة آدم في السورة نفسها « وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ. فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ. قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[1].

فرغم ما يوجد من اختلاف في اللفظ بين الآيتين، أعنى قوله «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» وقوله «اهبطوا منها جميعا» ، فان الامر بالهبوط هنا ذُكر مرتين ، ولكن كل واحد منهما يختلف عن الآخر، فالأمر الأول ترتبت عليه عداوة بعضهم لبعض ، أي عداوة إبليس لآدم ونبيه. أما الأمر الثاني فلقد ترتب عليه شيء آخر وهو ما سيُختبَرون به ويُبتلَوْن ، من اتِّباع هُدى الله أو الإعراض عن هذا الهدى. لكل من الآيتين ـ إذن ـ هدف وغاية، وهذا ما يتنافى مع التكرار تنافيا تاما.

٣ ـ في سورة البقرة هذه الآية « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[2]» ذُكرت هذه الآية مرتين بعد الحديث عن بناء الكعبة ودعاء إسماعيل وإبراهيم عليهما وعلى نبينا صلوات الله وسلامه، ووصية كل من إبراهيم ويعقوب لبنيه بالتوحيد والإسلام لله رب العالمين. وذُكرت الثانية بعد ادّعاء أهل الكتاب أنهم هم المهتدون ، وطلبهم من المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وادّعائهم أن ابراهيم وبنيه كانوا هودا أو نصارى ، ومحاجّتهم في ذلك.

الآية الأولى إذن كما يظهر لنا ـ والله أعلم بأسرار كتابه ـ ذكرت لارشاد المسلمين كي يواصلوا المسيرة ، فاتحين القلوب والبلاد باسم الله، مادام الله قد شرفهم بأُبوَّة إبراهيم وإسماعيل ، وبهذا النبي العظيم دعوة إبراهيم عليه السلام : «رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ[3]» وجاءت الاية الثانية لتقيم الحجة على اهل الكتاب الذين هم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بان الله لن يسألهم عن إعراض آبائهم وتولّيهم، وجَحْدِهم لنعم الله، وتحريفِهم لآياته اذا آمنوا بمثل ما آمنتم به أيها المؤمنون.

وإن المتدبر لسياق الآيات يمكنه أن يلمح ذلك ويستنتجه ، وهكذا نجد أن

---

(١) البقرة ـ ٣٦ ـ ٣٨

(٢) البقرة ١٣٤ ، ١٤١

(٣) البقرة ـ ١٢٩

كلتا الآيتين لها موضوعها الذي يقتضي وجودها. فلم تذكر الثانية تأكيدا للاولى، كي تدخل في باب التكرار.

٤ ـ في شأن تحويل القبلة جاءت هذه العبارات القرآنية الكريمة « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ [1] » وبعد هذه الآية الكريمة يقول ربنا تبارك وتعالى « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ [2] »

هذه الآيات الكريمة حينما يقرؤها القارىء ، يجد أن الأمر بتوْلية الوجه شطر المسجد الحرام قد ذكر أكثر من مرة، فيذهب الكثيرون إلى ذلك للتأكيد.

ولكننا حينما نُمعن النظر نجد أن الآيات الكريمة لم تذكر للتأكد فحسب، وإنما كان لكل واحدة منها غرضها الذي تؤديه، وغايتها التي تقصد اليها. فنحن نعلم خطورة قضية القِبلة، من حيث إنها جاءت تلبية لرغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن حيث ما فيها من استقلال شخصية المسلمين حتى في عبادتهم، ولقد كان تحويل القِبْلة من بيت المقدس إلى الكعبة أول نَسْخ في الاسلام، لذا وجدنا هذه العناية في شأن هذا التحويل، ومع ذلك كان لكل آية مغزى خاص بها :

فالآية الاولى جاءت تبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن هذه القِبلة التي تمنيتموها ـ ورغِبتم فيها ـ وقد علِم الله ذلك منكم ـ أجابكم الله لِمَا طلبتم. وأما الآية الثانية فلقد كان الأمر فيها لبيان قضية اخرى، وهى أن هذه القِبلة التي أمركم الله أن تتحولوا اليها، لن تُنسخ أبدا وهي القِبلة الباقية، وأما الاية الثالثة فجاءت تبين أن الهدف من هذا الامر بالتحول الى هذه القِبلة ، من أجل ان ةتقطعوا دابر كل قول فلا يبقى للناس عليكم حُجّة.

هكـذا إذن نجد أن أمر التكرار لا يستقيم مع غاية الآيات الكريمة، وإنما

---

(١) البقرة ١٤٤

(٢) البقرة ـ ١٥٠

اخترنا ذلك القول وعللنا كل أمر بما يناسبه أخذا من الآيات نفسها، فالأمر الأول بالتولية شطر المسجد الحرام جاء عقب قوله تعالى «قد نرى تقلُّب وجهكَ في السماء فلنُولِّينكَّ قِبلةً ترضاها». وأما الامر الثاني فقد جاء بعده قوله سبحانه «وإنه للْحقُّ من ربِّكَ»، ومعنى هذه الجملة الكريمة أنه حق ثابت لن يُنسخَ أبدا. أما الآية الثالثة فالأمر فيها ظاهر، فلقد ذكر عقبها «لئلاَّ يكونَ للناسِ عليكم حجةٌ».

٥ ـ في آيات الصيام ذكر قوله تعالى «أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ . فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١)».

فهاتان الجملتان من كتاب الله رغم ما بينهما من فرق باللفظ، حيث جاءت الأولى «فمن كان منكم مريضا أو على سفر» ، وجاءت الثانية «ومن كان مريضا أو على سفر» وذلك لغاية بيانيه دالة بحق على سر من أسرار إعجاز هذا الكتاب الخالد. ومع أن بحثنا لا يتعلق بها، لكن لا بأس أن نذكرها ليسْتيقن المنصفون من غير المسلمين، وبخاصة من أهل الكتاب، أن القرآن بعيد عن الحشو والزيادة والإطناب، ونذكرها كذلك ليزداد الذين آمنوا إيمانا ، ولكن بعد أن نأتي على المقصود من بحثنا وهي قضية التكرار.

فالجملة الاولى ذكرت بعد قوله تعالى «أياما معدوداتٍ» وذكر بعدها قول الله تعالى «وعلى الذين يُطيقونه فِدْيةٌ طعامُ مسكينٍ فمن تَطوع خيرٌ له وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون»، والراجح عند جمهرة العلماء وأئمة التفسير أن هذه الآية منسوخة بالآية التي بعدها، وهي قوله تعالى «شهرُ رَمضان» وإذا عرفنا هذا ندرك بعد القول بالتكرار. واليك أيها القاريء الكريم بيان ذلك : قوله سبحانه أياما معدودات

(١) البقرة ـ ١٨٤ ، ١٨٥

ذَكَر فيه أكثر من حكْم :

(١) القضاء للمريض والمسافر
(٢) التخيير بين الصيام والفدية
(٣) خيرية الصيام وتفضيله على الاطعام

وجاءت الآية الثانية تنسخ هذا الحكم ، فتوجب الصيام على كل من شهد الشهر، فلا يجوز له أن يطعم ويفطر. واذاً فمن البدهي أن يكون التساؤل : ترى هل هذا الحكم وحده هو الذي نسخ من الآية السابقة ؟؟ أم أن حكم المريض والمسافر كذلك قد نسخ فلا يجوز لهما الإفطار مطلقا ؟ وإن جاز فما البديل الذي يفعلانه ؟ فجاءت الآية الكريمة لتجيب على هذه التساؤلات الضرورية، وهو أن حكم المريض والمسافر في حال وجوب الصيام لم يتغير ، ولو أن هذه الجملة الكريمة لم تُذكر لكان ذلك نقصا في البيان يَجِلُّ عنه القرآن ولكان موضعَ تساؤلات ، بل موضع خلاف فيما بعد. كل من الجملتين إذن ذُكرت لا للتأكيد ولكن لتقررَ كلٌّ حكْما خاصا.

بقى أن نجيب على التساؤل المتعلق بذكر كلمة «منكم» في الجملة الاولى، وعدم ذكره في الثانية . فقد عرفنا أن الآية الأولى منسوخة، فالخطاب فيه للمؤمنين الذين نزل القرآن فيهم، أما الجملة الثانية فإن الخطاب يتناول أولئك الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإذا كان الأمر كذلك لايجوز أن تُذْكر كلمة (منكم) في الآية الثانية ، لانها ليست للصحابة رضى الله عنهم وحدهم، وانما للمؤمنين بعامة هذا من جهة، ومن جهة ثانية فان كلمة (منكم) ذكرت قبل هذه الجملة في قوله تعالى «فمن شهد منكم» فلا داعي لتكرارها هنا، أما في الآية الأولى فلم يسبق لها ذِكْر.

٦ ـ في سورة آل عمران ذكرت هذه العبارة الكريمة «ويُحَذِّرُكمُ اللهُ نفسَهُ» مرتين متجاورتين :

أولا : في قوله سبحانه « لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ

وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ (١) » .

ثانيا : في قوله تعالى « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢) » .

والناظر في السياق القرآني ، يجد أن كلا من التحذيرين جاء عقب قضية خطيرة مهمة . جاء الاول بعد نهى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء ، وهي قضية عُنِىَ بها القرآن الكريم بعامة ، وعُنِيَتْ بها سورة آل عمران بخاصة ، وما أصاب المسلمين اليوم من ضعف وخوَر وهزال ليس إلا بسبب هذه الموالاة ، وجاء الآخَر في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة ، فالتحذير الأول يترتب عليه العذاب الدنيوي من تفرق وتمزق وذِلّة ومَسْكنة ، أما التحذير الثاني فيترتب عليه العذاب الأخروى « وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٣) » .

٧ ـ في سورة النساء ذكرت هذه الآية الكريمة « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (٤) » ثم ذكرت في السورة نفسها « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا . لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ (٥) » ويظن الذين لامعرفة لهم بالسياق القرآني ، أن الاية قد كررت ، ولكن الذي ينعم النظر يدرك ادراكا لا يتطرق اليه الريْب أن لا تكرار ، بل أن من آية من الآيتين ، جاءت تتحدث عن أمر خاص بها .

فالآية الأولى جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب ، يدلنا على ذلك ما ذكر قبلها وما جاء بعدها . ولنستمع لذلك « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا

---

(١) آل عمران ٢٨

(٢) آل عمران ٣٠

(٣) الزمر ٢٦

(٤) النساء ٤٨

(٥) النساء (١١٦ ـ ١١٨)

نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ (١)»

ولاشك أحد في أن هذه الايات الكريمة تتحدث عن أهل الكتاب واليهود بخاصة.

أما الآية الثانية، فقد ذكرت بعد قولي تعالى «نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا (٢)» ومن البدهي أن هذه الآيات الكريمة تتحدث عن مشركي العرب.

الآية الاولى إذن تتحدث عن أهل الكتاب، ويبين القرآن الكريم أنهم مشركون، وقد وجدنا من العلماء من يتحاشى أن يصفهم بالشرك(٣). أما الاية الثانية فجاءت تتحدث عن الوثنيين من العرب، ولذا خُتمت الآية الأولى بقوله «فقد افترى اثما عظيما»، وختمت الاية الثانية بقوله «فقد ضل ضلالا بعيدا» ذلك لأن أهل الكتاب افتروا اثما حينما غيروا ما أكرمهم الله به من الشرائع، ولا كذلك مشركو العرب، وقد أشار العلماء من قبل الى هاتين الآيتين(٤).

(١) النساء، ٤٨ ـ ٥٥

(٢) النساء، ١١٩ ـ ١٢١

(٣) انظر كتابنا اتجاهات في التفسير ومناهج المفسرين.

(٤) انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن ابي بكر السيوطي، ولد في سنة (٨٤٩هـ) نشأ يتيما وحفظ القرآن صغيرا، أخذ عن الشيخ محيي الدين الكافيجي، التفسير والاصول والعربية والمعاني، رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث والفقه والنحو، والمعاني والبديع والبيان توفى سنة (٩١١هـ) الاتقان في علوم القرآن/ تحقيق ابو الفضل ابراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م، جـ ٣ ص ٣٥١.

٨ ـ وفي السورة نفسها وعقب كل موضع من الموضعين اللذين ذكرناهما من قبل الحي مايختص بأهل الكتاب وما يختص بمشركي العرب، ذكرت هذه الآية « وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا [1] ».

فقد ذكرت هذه الآية بعد الحديث عن أهل الكتاب، وبالتحديد بعد قوله تعالى فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا [2] ».

أما الآية الثانية فقد ذكرت عقب قوله تعالى في النص السابق الذي تحدث عن مشركي العرب « أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ، وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا [3] » وليس ثمة تكرار، لأن الآية الاولى جاءت تبين لأهل الكتاب إنْ هم آمنوا وعملوا الصالحات، إيمانا خالصا من كل شائبة، فإن لهم جناتٍ. والآية الثانية جاءت تَعدُ الوثنيين من العرب كذلك بهذه الجناتِ، إنْ حَسُن إيمانُهم ، ذلك لأن الإيمان يَجُبُّ ما قبله سواء كان ـ أي الذي قبْل الإيمان ـ افتراء أم ضلالا.

٩ ـ وفي سورة المائدة جاء قوله تعالى :

(١) « وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ [4] »، (٢) وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ [5] »، (٣) «وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ [6]

---

(١) النساء، ٥٧
(٢) النساء ٥٥ ، ٥٦
(٣) النساء (١٢١ ، ١٢٢)
(٤) المائدة ـ ٤٤
(٥) المائدة ـ ٤٥
(٦) المائدة ـ ٤٧

جاءت خاتمة لآيات متتابعة ، ولا يظن ظانٌّ أن هناك تكراراً في هذه الجمل الثلاث، فالتكرار منتفٍ من جهتين اثنتين :

أما أولا : فلأن كل جملة جاءت تتحدث عن غير ما تتحدث عنه الأخرى، إذ تتحدث الأولى عن المسلمين، والثانية عن اليهود، والثالثة عن النصارى.

ثانيا : كل آية خُتمت بما لم تختم به الأخرى كما رأينا.

٦ ـ هناك آيات ذُكرت في تقرير سَعة مُلْك الله تعالى، أو بيان صفاته وذلك كقوله «وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ » حيث ذكرت أكثر من مرة في كل من آل عمران[١] والنساء[٢] وكقوله «وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ» حيث ذكرت مرتين في سورة الأنعام[٣]. وكل واحدة من الآيات الكريمة، جاءت بعد وعيد خاص يتطلبه المقام ، ويقتضيه السياق.

١١ ـ في سورة المائدة ذكرت الجملة الكريمة «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا»[٤] ثم ذكرت بعد ذلك عدة آيات وهى قوله سبحانه «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ»[٥] فاذا عرفنا أن الآية الاولى جاءت تتحدث عن الذين صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام وهم أهـل مكـة، وجاءت الثانية تأمر المسلمين بالعدل : «كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ويدخل فيها أول ما يدخل أهل الكتاب، أدركنا أن كلا من الجملتين الكريمتين جاءت في شأن فئة من الناس، وأدركنا كذلك أن احداهما لا تُغنى عن الاخرى.

١٢ ـ وفي سورة الأنفال ذكر قوله تعالى بعد الحديث عن أحداث بدر، عندما خرج المشركـون بطَرا ورئاءَ الناس لِيصُدُّوا عن سبيل الله، وقد زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لاغَالبَ لكم اليوم من الناس وإنِّي جارٌ لكم ، وحينما تراءت

---

(١) الايات ١٠٩، ١٢٩.

(٢) النساء الايات ١٣١، ١٣٢

(٣) الانعامة آية ١٨ وآية ٦١

(٤) المائدة ـ ٢

(٥) المائدة ـ ٨

الفئتان وتلاقى الجمْعان ، ولّى مدحورا ونكص على عقبيه، وقال ما قال. أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فقالوا قولتَهم الشنيعة «غرَّ هؤلاءِ دِينُهم»، وهي قولة سُجِّلت في القرآن الكريم أكثر من مرة كما سنذكر ذلك ان شاءالله ونذكر السبب في ذلك . . بعد ذلك كله يقول الله تبارك وتعالى « وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ

من هذا النص الكريم نجد أن قوله تعالى «كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ» ذكره مرتين، أخبر عنهم بأنهم كفروا بآيات الله في الآية الاولى، وكذّبوا بآيات ربهم في الآية الثانية، وعما نحن بصدده من قضية التكرار ، نقرر مايلي :

ذكرت الاية الاولى عقب الحديث عن أهل مكة ا ذين خرجوا لبدْرٍ بطَرا ورئاءَ الناس، يصدّون عن سبيله. وقد زيَّن لهم الشيطان اعمالهم، وهم يشبهون من هذه الحيثية آل فرعون، فلقد خرجوا بطرا ورئاء الناس كذلك، للقضاء على موسى ومن آمن معه، وزين لهم شيطانُهم ـ فرعونُ ـ أعمالَهم. وهذا ماحدَّثنا عنه القرآن الكريم فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ [٢] » لقد كفرت قريش بآيات الله كما كفر فرعون وآلهُ فأخذهم الله القوي الشديد العقاب.

أما الآية الثانية فقد ذكرت عقب سنة من سنن الله تبارك وتعالى في هذا الكون وهذه الحياة، وهو أنه سبحانه اذا أنهم على قوم نعمة ما، فانه لا يغيرها ، بل يضاعفها وينمِّيها إن شكروا ، لكنهم إن جحدوها وغيَّروا ما بأنفسهم واستحقوا العقاب، لأنهم

---

(١) الأنفال (٥٠ ـ ٥٤)

(٢) الشعراء (٥٣ ـ ٥٦)

بدَّلُوا نِعمة الله كُفْراً، وقريش من هذه الحثيثة تشبه آل فرعون، فكما أنعم الله على فرعون بالجنات والعيون والأوتاد ، فقد أنعم على قريش كذلك بالحَرمَ الآمن، والناس يتخطفُون مِنْ حَولهم، وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، ورزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ولكن كلا الفريقين غيّروا نعم الله، فذكرت هذه الآية مرة ثانية.

بقى أن يقال إنه قد جرت عادة القرآن الكريم حينما يكون المقام مقام هيبة وإجلال وإخافة أن يُذكر لفظ الجلالة (الله) فاذا كان المقام مقام إنعام وتربية وتفضل ، ذُكِر اسم الربّ، فإذا عرفنا هذا، وعرفنا أن الآية الأولى «كدَأْب آل فرعون والذين مِن قَبْلهم كفروا بآيات الله» ذُكِرَت عقب مصرع أهل بدر الذين أبَوْا إلا الجحود. وعرفنا أن الآية الثانية «كَدأْب آل فرعون والذين من قلهم كذبوا بآيات ربهم» ذكرت بعد سنّة من سنن الله تعالى في هذا الكون، وهي أنه لا يغيّر نعمه التي خص بها بعص الناس إلا إذا غيَّروا ما بأنفسهم وكفروا بأنعم الله.

إذا عرفنا ذلك كله ندرك أن كلا من الآيتين الكريمتين جاءت تقرر حقيقة، وتتحدث عن سُنَّة من سنن الله، مما هو بعيد كل البعد عن شبهة التكرار ، وشائبة التأكيد.

١٣ - وفي سورة الأنفال نفسها ذكرت هذه الآية * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ [1]». ثم ذكر قوله سبحانه : إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ»[2] . ويقيننا أن الأمر في هاتين الآيتين الكريمتين ظاهر لايحتاج إلى بيان ، لأن الآية الأولى جاءت في شأن الذين أعرضوا عن الحق، فأبَوْا ان يستعموا له وينطقوا به. وجاءت الثانية حديثا عن الذين أبوْا الإيمان ونقضوا العهد. فالآية الاولى تتحدث عن الكافرين قبل أن تكون هناك معاهدات بينهم وبين النبي عليه وآله الصلاة والسلام، وليست كذلك الآية الثانية، فهي تتحدث عن الذين ينقضون عهدهم في كل مرة وذلك ما يرشد إليه السياق، لذا جاء في الآية الاولى «الصمُّ البكمُّ الذين لايعقلون» وجاء في

(١) الانفال ـ ٢٢

(٢) الانفال ـ ٥٤ ، ٥٥

الآية الثانية «ان الذين كفروا فهم لايؤمنون الذين عاهدتَ منهم ثم يَنقُضون عهدهم في كل مرَّة وهم لايتقون».

١٤ ـ في سورة الانفال ذكر قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] وفي سورة الاحزاب ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[2]

ومع التغاير التام بين الآيتين ، إلا أنه قد يشتبه على بعض الناس وجود التكرار من حيث المعنى . ولأولئك نقول : كانتا قولتين مختلفتين زمانا ، كانت الأولى يوم بدر ، وكانت الثانية يوم الأحزاب ، وقد ذكرهما القرآن لينبِّه المسلمين لما يقوله خصومهم أعداء الإسلام ، ونحن نجد اليوم من يردد هذه القضية هُزْءاً أو مِراءً ، وبخاصة أولئك الذين لاشت شخصيتهم وفقدوا ذاتيَّتَهم ، فزعموا أن فيصل الغلَبة ليس إلا للقوة المادية فحسب ، وقد كذبوا وصدق الله ورسولُه ، ومعاركنا التي خضناها مع عدونا خير دليل على ما قلناه ، إذْ لم تغن الكثرة عَدداً والقوة عُددا .

انتهيت من تسجيل هذه الأسطر وإذ بصوت الحق يرتفع «الله اكبر الله اكبر» ففرحت بذلك اذ هو تصديق للحق .

١٥ ـ وفي آخر سورة الأنفال ذكرت بعض الأحكام الخاصة بالمؤمنين في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ ثم ذكرت بعدها آياتٍ تتحدث عن المؤمنين من حيث ما يتحلوْن به من صفات، وما أُعدَّ لهم من جزاءٍ وأَجْر، وهو ما لايحتاج إلى بيان اذ لا شُبهة تكرارٍ فيه لأحدٍ.

١٦ ـ في سورة براءة نهى الله تبارك وتعالى أن يُعجَبَ النبي أو المؤمنون بما لأعداء الله من أموال فقد ورد قول الله تعالى « ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) الأنفال ـ ٤٩
(٢) الاحزاب ـ ١٢
(٣) الأنفال ـ ٧٢

ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ [٤]» فقد ذكرت الآية الكريمة مرتين مع تغاير في النَّظم.

أما الآية الاولى فجاءت بعد تقرير هذا الحكم، وهو أن أولئك الاعداء المنافقين ان انفقوا طَوعا او كَرْها، فلن تقبل نفقاتهم، لأنهم كفروا بالله ورسوله، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى، ولا ينفقون الا وهم كارهون، وأما الآية الثانية فقد جاءت تثبيتا للنبي عليه وآله الصلاة والسلام وللمؤمنين بعد صدور هذا الحكم الرباني القاطع، وهو حرمانهم من شرف الجهاد «فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ [١]».

فقد جاءت الآية الكريمة إذَنْ تعقيبا على هذا الحُكم، كأنه يقول لهم لايهولَنَّكُمْ هذا الحُكْم، فان الذي أغناكم عنهم في خروجهم معكم للجهاد، هو الذي يُغنيكم عن أموالهم وأولادِهم كذلك.

١٧ ـ تذكر بعض الجمل في سورة أو سور متفرقة، كما نجد ذلك في سورة يونُس «أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ [٢]» وفي السورة نفسها «أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ» وكما في سورة النُّور «وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ [٤]» وقول «لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ» وغير ذلك مما لا يمكننا حصره ومثل هذا، لايعدّ من التكرار، لأن التشابه إنما جاء في جزء من الآية، وأقول

---

(١) التوبة ـ ٥٥
(٢) التوبة ٨٣ ـ ٨٦
(٣) يونس ـ ٥٥
(٤) يونس ـ ٦٦
(٥) النور ـ ٣٤
(٦) النور ـ ٤٦

التشابه لا التماثل، لأن هناك تغايرا في الجزأين ـ كما رأينا ـ في الأمثلة السابقة، ومع ذلك فلكل معناه الخاص به، فإن كان هناك تماثل في بعض الأجزاء، فسنجد أن السياق مختلف وأن كلا من الجملتين المتماثلتين جاءت ليحمل عليها مالا يحمل على الأخرى.

نأخذ لذلك مثلا «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟» ذكرت في سورتين من عرائس القرآن «الحواميم» إحداهما في سورة «فصلت» وقد ذكر عقبها «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ [1]» إلى آخر ما قاله الملائكة من قول طيب لأولئك. والثانية في سورة الأحقاف وذكر عقبها «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ [2]» وقوله سبحانه «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا [3]» وفي آية أخرى «إِحْسَٰنًا [4]» ونجد في آية ثالثة «حملته أمه وهْنا على وهْنٍ [5]» أو «حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا [6]» كل ذلك بعيد بالطبع ان يتوهم متوهِّم بوجود التكرار فيه.

ومن هذا القبيل ما جاء في سورة المائدة «لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا [7]» وفي السورة نفسها لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ [8]» وما جاء في سورة الأعراف «ان ربكم الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل

---

(١) الايتان ـ ٣٠، ٣١
(٢) الاحقاف ١٣، ١٤
(٣) العنكبوت ـ ٨
(٤) الأحقاف ـ ١٥
(٥) لقمان ـ ٤
(٦) الاحقاف ـ ١٥
(٧) المائدة ـ ١٧ .
(٨) المائدة ـ ٧٢ .

النهار يطلبه حثيثا[1]» وما جاء في سورة يونس «إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ[2]».

وما جاء في سورة الأنعام «قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ[3]»، وفي سورة النمل «قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ[4]» وفي سورة العنكبوت «قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ[5]»: ولاشك أن لكل الآيات الثلاث معنى لا يشاركها غيرها فيه، فالآية الأولى التي جاء العطف فيها بـ (ثم) تطلب من الناس أن يسيروا من أجل أعمالهم وتجاراتهم وتعليمهم، وليكن مع هذه الأغراض النظر، ليعرفوا أحوال الأمم وطبائع الاشياء. وأما الآيتان الثانية والثالثة فتطلبان ان يكون هذا السير من أجل النظر فحسب، الا أن الغاية من هذا النظر مختلفة فهي التعرف على أحوال الماضين في الآية الثانية، والتعرف على آثار القدرة الإلهية في الأرض في الآية الثالثة.

وشبيه بهذا ما جاء في أكثر من سورة من قوله تعالى «أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟[6]» وفي آية «أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟[7]» ذكرت هذه الآيات في آخر سورة يُوسف وفي أوائل سورة الروم وفي أواخر سورة فاطر، وذكرت مرتين في سورة غافر في أولها وفي آخرها ومرة في سورة سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم والسياق لكل آية ونظمها الخاص بها يتكفلان بها ترشد إليه كل آية.

ومن ذلك قوله تعالى «وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ[8]» وفي آية «وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ[9]» دون ذكر السماء، ومثل ذلك لا يمكننا ان

---

(١) الاعراف ـ ٥٤.

(٢) يونس ـ ٣.

(٣) الأنعام ـ ١١.

(٤) النمل ـ ٦٩.

(٥) العنكبوت ـ ٢٠.

(٦) الروم ٩، وسورة فاطر ٤٤، وسورة غافر ٢١.

(٧) سورة يوسف ١٠٩، وسورة الحج ٤٦، وسورة غافر ٨٢، وسورة محمد ١٠.

(٨) العنكبوت ـ ٢٢.

(٩) الشورى ـ ٣١.

نستقصيه هنا لكن الذي نود أن نقرره ونحن مطمئنون كل الاطمئنان ، واثقون مما نقوله كل الثقة، من أن أيّ آية ذكرت أكثر من مرة في سورة، أو أكثر من ذلك، وأن أي جُملة ذكرت في أكثر من آية في سورة أو أكثر ، لها رسالتها الخاصة بها، وغايتها المنشودة منها، وغرضها الذي تؤديه تنسيقا وإيقاعا، وروعة وإبداعا.

١٨ - في سورة الشعراء «أن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ [(١)]» ذكرت ثماني مرات، وكانت كل مرة تذكر عقب قوم من الأقوام الذين كذَّبوا ، ابتداء من الذين ارسل اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقوم موسى وابراهيم عليهما السلام، وبعد ذكر نُوح وهُود، وصالح ، ولُوط وشعيب عليهم السلام، فكان لها ما يحتِّمها في كل موضع.

١٩ - في سورة المرسلات وردت هذه الآية الكريمة « وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ » في مواضعَ متعددةٍ ، لكننا حينما نتأمل السورة الكريمة، والآيات التي جاءت عقِبَها هذه الاية، فإننا نقرر موقفين ونُوقن مقرِّرين، أن لا تكرار البتة، !!!هم إلا اذا كانت أصابع يدي الانسان العشرة جاءت مكررةً ! وإليك البيان أيها القاريء - علَّمك الله، وإيَّاي -.

جاءت الآية الاولى «ويل يومئذ للمكذبين»، بعد ذكر مشهد من المشاهد التي ستحدث لهذا الكون إيذانا بمجيء يوم الفصْل « فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ لِيَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ [(٢)]» وجاءت الثانية عقب التنبيه والاشارة لهذا التقرير التاريخي عن شؤون الامم السابقة « أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ [(٣)]».

أما الآية الثالثة فقد ذكرت بعد هذا التقرير الرائع، والإلتزام القاطع لهذا الإنسان بالحجة ، وهي تحدِّثه عن خَلقه ، بل عن المراحل الاولى من هذا الخلق ،

---

(١) الشعراء - ٨، ٩

(٢) المرسلات ٨ ، ١٥

(٣) المرسلات ١٦ - ١٩

وما حفه الله به من عناية ورعاية ماكان ليوجَدْ لولاهما، سواء كان ذلك من حيث ما للأب أم للأم، من حيث الماء أم القرار «أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ. فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ[1]» أما الآية الرابعة فقد ذُكرتْ بعد أن منَّ الله على هذا الانسان، فهيأ له هذه الأرض لتكون صالحة للحياة، بأن هيأ له ما لابد منه لاستمرار هذه الحياة إلى أن يشاء الله، ذلك أن خلق الانسان لايؤدي الى النتائج المرجوة منه اذا لم تتوفر له العوامل التي تهيء له البقاء وصدق الله «ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ[2]» ومن هنا نجد أن الله تبارك وتعالى لايذكر نعمة الخلق إلا ويذكر ما معها لا يستمر الخلق بدونها، لذلك ذُكرت هذه الآيات بعد آيات خلق الانسان التي قرأناها «أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ[3]»

وبعد هذه الإشارات التاريخية والنفسية والكونية، التي لا يسوغ لأحد أن ينكرها، اقول بعد هذه التوطئة الضرورية رجعت الآيات الكريمة تذكّرنا بالغاية، تنبه المكذبين إلى عاقبة أمرهم الوخيمة ما سيحيق بهم، فتجيء الآية الخامسة بعد هذا المشهد المروِّع، وبالطبع فهو يختلف كما سنرى عن المشهد الأول اختلافا تاما. ولنقرأ ولنستمع «ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ. ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ. لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ. إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ. كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ[4]»

أما الآية السادسة، فانها تأتي بعد بيان ما يلقاه أولئك المكذبون من حرج، وما يشعرون به من ضيق، حيث يُختَم على افواههم فلا يستطيعون النطق، ويُسلبون القدرة على الاعتذار عن قبيح ما فعلوه، وبخاصة عن هذا التكذيب الذي كذَّبوه، وأما الآية السابعة فانها تذكر بعد الحديث عن يوم الفصل الذي جُمع فيه الخلائق،

---

(١) الآيات ١٩، ٢٤

(٢) السجدة ـ ٧

(٣) المرسلات ٢٥ ـ ٢٨

(٤) المرسلات ٢٩ ـ ٣٤

وبعد أن يمكنوا من النطق ويرخى لهم العنان ، ليوقنوا أن ما أصابهم انما هو بأيديهم ، « وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (١) » ، نقرأ ذلك كله فيما يلي «هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين(٣) » .

أما الآية الثامنة فقد ذكرت بعد ما أعد الله للمتقين ، ومن سنة القرآن أنه حينما يذكر فريقا يذكر الفريق الاخر، ترهيبا وترغيبا، ووعدا ووعيدا، نقرأ ذلك في هذه الآية « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤) » . أما الآية التاسعة والعاشرة، فتأتيان تبكيتاً للمجرمين بعد خطابهم كما خوطب المؤمنون، وبعد توبيخهم على عدم الاستجابة لرسل الله والامتناع عن عبادة الله المنعم « كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ » صدق الله العظيم

تلك هى السورة الكريمة في نظمها المحكم وإحكامها المنظَّم، أفتجد بعد ذلك أيها القاريء موطن تكرار ؟ افتشعر بعد هذا السرد بتكرار موطن السورة الكريمة ؟ ما أظن إلا أنك معي بأن لكل آية موطنَها الذي يختلف جغرافيا وتاريخاً عن موطن الآية الاخرى، يا للروعة في الإبداع !! ويا للبيان يأخذ بالألباب . وصدق الله « وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا » وصدق الله « كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (٢) » وصدق الله « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ (٣) » .

---

(١) الكهف ـ ٤٩
(٢) المرسلات ٣٥ ـ ٤٠
(٣) المرسلات ٤١ ـ ٤٥
(٤) المرسلات ٤٦ ـ ٥٠
(٥) طه ـ ١١٣
(٦) هود ـ ١
(٧) الزمر ـ ٢٨

٢٠ ـ جاء في سورة النبأ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ[١]».

٢١ ـ وفي سورة التكاثر «بسم الله الرحمن الرحيم أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ[٢]».

ويذهب الكثيرون إلى أن هذا تكرار للتأكيد[٣] والذي يلُوح لي بعد وقفة مع الآيات الكريمة، أن الأمر ليس من قَبيل التأكيد. وبالتالي فليس من قَبيل التكرار، وأرجو أن لايدور بخلَدك أيها القاريء بانني أُنكر أسلوب التأكيد، فلا تظنّ هذا الظن بي، فالتأكيد من الأساليب التي لا تنكرها العربية، بل قد تكون له مواضعه ومواقفه التي يزدان بها الكلام ويُحكم بها المعنى. لكن الذي أزعمه هنا، أن مافي الآيات الكريمة ليس من قبيل التأكيد، واللغويون يقررون أنه إذا أمكن حمل الكلام على التأسيس، كان ذلك لاشك أَوْلى من التأكيد، ونزعُم أن الكلام هنا يمكن أن يحمل على التأسيس، بل نجد ذلك هو الأوفق بالسياق والألصق بالمعنى.

جاءت كل من الآيتين في السورتين الكريمتين في سورة النبأ والتكاثر معطوفة بـ (ثمّ)، و (ثمّ) كما نعلم للتراخي، وقد يكون هذا التراخي زمانيا أو رُتَبيًّا، واذا كان ذلك كذلك فليس مما يتقبله الفكر والنفس أن نعتبر جملتين عطفت أحدهما بحرف التراخي، ان نعتبرهما شيئا واحدا، بل الظاهر أن هناك ردعا وتهديدا يفهم كل جملة على حدة، أحدهما أشد من الآخر. وهذا ما أشار اليه الزمخشري[٤] عند تفسير سورة النبأ[٥]. ولكنه رحمه الله عند تفسير سورة التكاثر[٦] ذكر أن ذلك من قبيل التأكيد، مع أن الردع الثاني أشد من الأول.

---

(١) النبأ ١ ـ ٥

(٢) التكاثر ١ ـ ٤

(٣) عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٢٣٩ .

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جابر الله ابو القاسم : (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ = ١٠٧٥ ـ ١١٤٤) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأداب ولد في زمخشر (من خُوارزم) وسافر الى مكة فجاور بها زمنا فسمي جار الله وتنقل في البلاد ثم عاد الى الجرجانية وتوفى فيها من كتبه : الكشاف، أسرار البلاغة والمفصّل ـ الأعلام جـ٧ ص ١٨٧ .

(٥) الكشاف جـ ٤ ص ٦٨٤

(٦) الكشاف جـ ٩ ص ٧٩٢

أما الألوسي[1] رحمه الله فقد نقل في تفسير (روح المعاني)[2] هذا القول ولكنه نقل عن سيدنا علي ـ كرم الله وجهه ـ ما ينافي كونه للتأكيد ، وهو أن الردع الأول في القبور «كَلَّا سوف تعلمون» والثاني في النشور أي يوم القيامة . وما نظن الامر يحتمل هذا الخلاف كله، وما نظن هذا الخلاف كذلك إلا نتيجة لقواعد النحويين، فابن مالك ـ رحمه الله ـ صاحب الألفية يرى أن الجملة الثانية للتأكيد على نية إسقاط حرف العطف، ولا أدري كيف نجيز أن نسقط حرفا أو نعتبره كذلك، وقد ذكر في الكتاب الكريم، ولو كان الأمر كذلك، ولو كان هذا الحرف لا يؤدي معنى لما ذكره الله تبارك وتعالى وكان يمكن أن يحذف من الموضعين ، فيقال في الموضع الاول «كلا سيعلمون كلا سيعلمون» ويقال في الموضع الثاني «كلا سوف تعلمون كلا سوف تعلمون» .

والذي اطمئن له أنْ لا تكرار ، وأنّ (ثم) يمكن أن تكون للتراخي الرتبى ، وهو ان الوعيد الثاني أقسى وأشد وأنكى من الأول، ويمكن أن يكون للتراخي الزمني، أي أن زمن الردعين مختلف، وبخاصة اذا ثبت عن سيدنا على ما نقل عنه الألوسي في تفسير آية التكاثر.

٢١ ـ ومن أقوى ما تمسك به القائلون بالتكرار سورة (الكافرون) ومن الخير المفيد ان نتدبر السورة حتى نستطيع أن نناقش من قال ونَعى ما قيل «بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ[3]» السورة الكريمة عدا البسملة ست ايات . إحداها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيه نداء للكافرين ، وهي «قل يا أيها الكافرون» وآخر آية حكم ونتيجة وهي «لكم دِينُكم ولي دِين» ، وما بين هاتين الآيتين آيات أربع يمكن أن نقسمها من حيث المعنى الى مجموعتين، المجموعة الاولى «لاأعبد ما تعبدون» و «ولا

---

(١) محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي شهاب الدين ابو الثناء (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ = ١٨٠٢ ـ ١٨٥٤) مفسر، محدث، اديب لغوي، نحوي مشارك في بعض العلوم تقلد الافتاء في بغداد وسافر الى الموصل فالقسطنطينية وأكرمه السلطان عبد الحميد وعاد الى بغداد بين تصانيفه، روح المعاني، كشف الطرة عن الغرة في شرح درة الغواص للحريري، معجم المؤلفين جـ١٢ ص ١٧٦ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ادارة الطباعة المنيرية مصر ، جـ ٣ ص ٢٢٤ .

(٣) الكافرون ١ ـ ٦

أنا عابد ما عبدتم»، فالآيتان الكريمتان تشيران الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما يعبده الكافرون. والمجموعة الثانية «ولا أنتم عابدون ما أعبد» وهي الآية الثالثة عدا البسملة، «ولا أنتم عابدون ما عبد» وهي الآية الخامسة، وهما تنفيان عبادة المشركين لما يعبد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، والذين ذهبوا الى التكرار قالوا انه للتأكيد، وممن ذهب الى هذا القول ودافع عنه بقوة، واستدل له بأقوال العرب وبما جاء من أشعارهم «الفراء» ولكن الجمهور من العلماء ذهب الى غير هذا، ذهبوا الى عدم التكرار في السورة الكريمة، وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم في تفسير الآيات تفسيرا يبعد القول بالتكرار.

فذهب أبو مسلم ابن بحر الاصفهاني[1] الى أن «ما» في الآيتين الأولَيَيْن اسم موصول بمعنى (الذي)، وفي الآيتين الأخريين مصدرية، أي لا أعبد الذي تعبدون ولا أنتم عابدون الذي أعبد، ولا أنا عابدٌ عبادتَكم التي هى الشرك، ولا انتم عابدون عبادتي التي هي التوحيد، وذهب غيُره مذاهب في تفسير هذه الآيات.

ولا أود أن أقحمك أيها القاريء الكريم في كل ما ذكروه، فأدخلك في متاهات قد يصعب عليك الخروج منها، وتمييز بعضها عن بعض، ولكنا نود أن نسلك بك ان شاءالله تعالى مسلكا لا وعورة فيه، غير حزن ولا متعرج.

وجميل بنا أن نعرف السباق الذي جاءت الآيات الكريمة فيه، والسبب الذي نزلت من أجله، فقد ذكر ابن جرير رحمه الله وغيره أن المشركين ومنهم الوليد بن المغيرة طلبوا من التي عليه وآله الصلاة والسلام أن يهادنَهم، أن يعبد آلهتهم ويعبدوا إلَهه، فأبى عليهم النبي عليه وآله الصلاة والسلام ذلك، ونزلت السورة الكريمة وعلى هذا فإن ما نرجحه في تفسير الآيات الكريمة ونستأنس به بقول الحُذَّاق الجهابذة من العلماء، وهو عدم التكرار في السورة الكريمة مايلي ـ وبالله التوفيق ـ :

---

(١) محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيّان الغِرناطي الأندلسي الجياني النفري. أثير الدين أبو حيان (٦٥٤ ـ ٧٤٥هـ = ـ ١٢٥٦ ـ ١٣٤٤) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في احدى جهات غرناطه وتنقل الى ان اقام بالقاهرة وتوفى فيها بعد أن كُفَّ بصره ـ البحر المحيط : ـ مطبعة السعادة مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ، جـ٨ ص ٥٢١.

قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم «يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون»، أي لا يمكن أن أعبد في مستقبل الأيام معبوداتِكم الفاسدةَ، كيف وقد أكرمني الله بالنبوة وهداني الصراط المستقيم ؟ وأنتم تعلمون أنه قبل أن يُكْرمني الله بالوحْي ما عبدتُ آلهتكم، فكيف ترجُون مني أن أعبدها اليوم أو أعبدها فيما بعدُ ؟ أما أنتم فلا يمكن أن تعبدوا الله الذي أعبدُه ـ والسورة خطاب لقوم عَلِم الله أنهم لا يؤمنون ـ وبخاصة بعد أن استحكم بيني وبينك العداء، فأنتم ما عبدتم الله الذي دعوتكم لعبادته يوم أن كنتم تعدُّونني فيما بينكم الصادق الأمين ، وقبل أن يحدث بيني وبينكم ما يعكر الصفو.

والخلاصة أن كل آية من المجموعتين جاءت على صورة الدعوى، وجاءت الآية الثانية على صورة الدليل ، فكأن كلاً من الآيتين دعوى ودليلها. فالدعوى في المجموعة الاولى «لا أعبد ما تعبدون»، أي لايمكن أن أجيبكم إلى ما طلبتم فأعبد آلهتكم ، والدليل على هذه الدعوى «ولا أنا عابدٌ ما عبدْتُم» ، أي قبل أن يكرمني الله بالوحي ما عبدْتُ آلهتكم ، فهل يُعقل أن أعبدها الآن أو بعد الآن ؟

وأما الدعوى في المجموعة الثانية فهي «ولا أنتم عابدون ما أعبد» أي لايمكن أن تُصدِّقوا فتعبدوا الله الذي أعبده وقد حدث بيني وبينكم ماحدث، ودليل هذه الدعوى «ولا أنتم عابدون ما أعبد»، أي حينما دعوتكم لأول وهلة وانتم لم تُجَربوا عليَّ كذبا، وعلمتم أنْ لامطمعَ لي في شيء فلم تجيبوني، فكيف تجيبونني اليوم ؟

الآيات الأربع اذن اثنتان منهما تشكلان الدعوى، عدم استجابة كل من الفريقين للآخر، والآيتان الأخريان كل منهما برهان على الدعوى التي تلائمها. هذا الذي يبدوا لنا في فهم السورة الكريمة، وراجين من الله أن نكون قد اهتدينا للصواب، وراجين من الله كذلك أن نكون قد بينا لك المقام ووضحناه أيما توضيح ، والله يجزي سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خير ما يجزي نبياً عن أُمَّته وآل سيدنا محمد وصحبه.

٢٣ ـ ولنختم هذا اللون بهذه الجملة القرآنية التي ذكرت في سورة النمل خمس آيات متواليات كان لها شخصيتها المستقلة في كل مرة، قال تعالى «قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ، أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (الآيات ٥٩ ـ ٦٥).

أرأيت إلى هذا التساؤل الملزم المفحم، كيف جاء مستقرا مستقلا في كل آية من هذه الآيات الخمس وكانت كل آية تتحدث عن قضية من القضايا الرئيسية في شؤون الكون والانسان ؟. تحدثت الآية الاولى عن الخلق، خلق السموات والارض وانزال الماء من السماء، ليؤدي غرضه المرجو منه. وكانت الآية الثانية خاصة بهذه الارض وتسويتها، وايداع مافيها لحياة الانسان وتثبيتها، حتى لا تميد وتتصدع.

أما الآية الثالثة فكانت خاصة بالانسان وما ينتابه من حالات نفسية، وما يعرض له من مشكلات وما يصيبه من ضر، وما يتطلع اليه من آمال، وما يمكن أن يعطل مسيرته من الام.

لكن الآية الرابعة كان حديثها عن الانسان، ولكن من جوانب أخرى، انها تمس الجوانب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي لابد منها ليتمكن الانسان من المسيرة في هذه الحياة.

وأخيرا تأتي الآية الخامسة لتقرر مبدأين رئيسيين كليين يمكن أن يجمعا شتات ما تقدم كله، فيجيئان كالنتيجة لما سبق، والغاية مما تقدم، يأتي هذا التساؤل أإله مع الله ؟ بعد كل نوع من هذه الأنواع، ذلك لأن الناس مختلفون في أهوائهم، لترد على كل من اتخذ إلهه هواه، وما أكثر الأهواء.

واذا كان ذلك النسق عجيبا بديعا، فلا يقل عنه عجبا وابداعا أن تختم كل آية

بالفاصلة التي تتسق معها ، تتفق مع مضمونها «بل هم قوم يعدِلون»، «بل أكثرهم لايعلمون»، «قليلا ما تتذكرون» «تعالى الله عما يشركون»، «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين». وكل ما أريده منك أيها القاريء الكريم أن ترجع إلى الآيات الكريمة لتتدبرها تاليا، ولتقرأها متدبرا، فلعلك تجد من الإبداع ومن ثروة المعنى أكثر مما ذكرته لك، وسبحان الله الفتاح العليم، فالقرآن الكريم يُقبِل عليك بقدر إقبالك عليه، ويعطيك من أسراره بقدر ما تعطيه من كيانك ووجدانك، ويرتفع بك على قدر ما ترتفع به، بل يمنحك أكثر من ذلك، ان الله ليرفع بهذا الكتاب أقواما ارتفعوا به، فيكونُ لهم قَدمُ صِدقٍ ويتبوءوا مقعد صِدقٍ :

نعم السمير كتاب الله إن له ... حلاوةً هى أحلى من جَنَى الضَّرَب
به فنونُ المعاني قد جُمِعْن فما ... يَفُتْنَ من عَجَبَ إلا الى عَجَبَ
أمرٌ ونَهْيٌ وأمثالٌ وموعظةٌ ... وحِكمةٌ أُودِعَتْ في أفصح الكُتُب
لَطائفُ يجتليها كل ذي بَصِر ... وروضةٌ يجتنيها كل ذي أَدَب

٢٢ ـ وقد آثرت أن أجعل مسك الختام في هذا المقام ، سورة (الرحمن) التي فرح بها القائلون بالتكرار، لأنهم رأوا فيها ما تقوم لهم به الحجة، حيث ذُكر قوله تعالى «فبأي آلاءِ ربِّكما تكذِّبانِ» ما يربو على الثلاثين مرة، ولعل هذا هو آخر سهم في جُعبتهم، وآخر مرمى لكُرتهم ، ولكننا مع ذلك، وكعادتنا سوف لا نتعجل الحكْم ، ففي التأني السلامة، والأناة خَصلة يحبُّها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ذكرت هذه الآية الكريمة إحدى وثلاثين مرة ولكنها إنما عقب آية من آيات الله في الأنفس، أو في الآفاق ، في الدنيا أو في الآخرة ، وقد تكون نعمة يفرح بها المؤمنون ، وقد تكون عقوبة للكافرين، وهي في حقيقتها نعمة للمؤمنين كذلك، لأنها عقوبة نجاهم الله منها. والمستعرض للآيات الكريمة يجد أنها ذُكرت مراتٍ بعد نِعَم الله على الإنسان في هذه الدنيا. يقول الخطيب الإسكافي ـ قوله تعالى «فبأي آلاء ربكما تكذِّبانْ» وتكريره إحدى وثلاثين مرة، للسائل أن يسأل عن العدة التي جاءت عليها هذه الآية متكررة وعن فائدتها.

والجواب ان يقال : نبه الله تعالى على ما خلق من نِعم الدنيا المختلفة في سبع منها، وأفرد سبعا للترهيب والإنذار والتخويف بالنار، وفصل بين السبع الاول والسبع الأُخر بواحدة ثلاث آيات سوَّى فيها بين الناس كلهم فيما كتب الله من الفناء عليهم حيث يقول « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ » (الرحمن ـ ٢٦) أي مَن على الأرض، وهذه الفاصلة للتسوية بين الملائكة وبين الانس والجن في الافتقار الى الله تعالى والى المسألة ؛ والاشفاق من خشية الله ، وهي قوله «يَسْئَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» (الرحمن ـ ٢٩) وانما كانت الأُول سَبْعا، لأن أُمّهات النِّعم التي خلقها سبعا سبعا، كالسماوات والأَرَضين ، ومعظم الكواكب وكانت الثانية سبعا، لأنها على قسمة ابواب جهنمَ لما كانت في ذكرها ، وبعد هذه السبع ثمانية في وصف الجنان وأهلها على قسمة أبوابها وثمانية اخرى بعدها للجنتين االلتين دون الجنتين الأُولَيَيْن ، لأنه قال تعالى في مفتتَح الثمانية المتقدمة «وَلِمَنْ خاف مقامَ ربِّه جنَّتانِ» (الرحمن ـ ٦٤) فمضت ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما، وثمانية في وصف جنتين دونها للثمانية المتقدمة اليه، فكان الجميع احدى وثلاثين مرة[1] .

ويقول القاضي عبد الجبار الاسد آبادي[1] :ـ

«قال أبو علي : فأما ما يكون في سورة الرحمن قوله تعالى «فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذِّبان»فليس بتكرار ، لأنه ذكر نعما بعد نعم، وعقب كل نعمة من ذلك بهذا القول ، فكأنه قال فبأي آلاء ربكما التي ذكرتها تكذِّبان ؟، وانما عنى بالتثنية الجن والانس، ثم أجرى الخطاب على هذا الحد، في نعمةٍ نعمةٍ، وعنىَ بكل قول غير ما عناه بالقول

---

(١) ابو عبد الله محمد المعروف بالخطيب الاسكافي، عالم بالادب واللغة، من أهل أصبهان، كان إسكافيا وحبب اليه العلم فأخذ عنه مشيخة وقته في بلده ، حتى برع في علمي اللغة والأدب (ت ١٠٤٦هـ) من كتبه «مبادىء اللغة» و «الغرة» و «غلط كتاب العين». درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات برواية ابن ابي الفرج الادرستاني : دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٧ .

(١) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الاسد آبادي ابو الحسين (ت ٤١٥هـ ـ ١٠٢٥) قاض أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره وهم يلقبونه قاضي القضاة بالري، ومات فيها، من مؤلفاته : تنزيه القرآن عن المطاعن ، والأمالي ، والمجموع في المحيط بالتعليق ، المغنى في أبواب التوحيد والعدل ، وإعجاز القرآن ـ قوّم نصه أمين الخولي ـ الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي / الإدارة العامة للثقافة ـ ط١، شعبان ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠ : مطبعة دار الكتب، جـ ١٦ ، ص ٣٩٨.

الأول، وإن كان اللفظ متماثلا ، وهذا كقول القائل، لمن ينهاه عن قتل المسلم وظلمه، ويزجره عن ذلك : أتقتل زيدا وأنت تعرف فضله ؟ اتقتل عمرا وأنت تعرف صلاحه ؟ ويكرر ذلك فيكون حسنا ولا يعد تكرارا، ولو أن أحدنا عظُمت نعمُهُ على ولده، ورآه آخذا في طريق العقوق، لحسُن أن يُقبِل عليه فيقول : أتغضبُني في كذا، وقد انعمتُ عليك ؟ أتغضبني في كذا وقد أنعمت عليك؟!، فيكون تكرار ذلك أبلغ في المراد، حتى لو حذفه لنقص الغرض في هذا الباب ولم يكن بمنزلته».

وبعد، فان مانرجوه بعد هذه المسيرة المباركة في الرياض القرآنية النضرة، وقد نفحنا من عطرها وشربنا من نميرها، وقَبسْنا من نورها، أقول إن ما أرجوه ـ وقد حاولت معالجة قضية ذات شأن وخطر وهى قضية التكرار ـ ان أكون قد ألقيت الضوء ـ الذي يبصر به كل ذي لُبٍّ ـ على جوانب من هذه القضية، وإن لم أكن قد وفَّيت فحسبي أنني حاولت ما استطعت، وهو جُهد المقِلّ، أرجو الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه والله يجزي سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عنا خير ما يجزى نبيا عن أمته وآل سيدنا محمد وصحبه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المراجـــع

١ ـ **الألوسي** ، محمـد بن عبـدالله شهـاب الدين / روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / إدارة الطباعة المنيرية ـ مصر.

٢ ـ **أبو حيان** ، محمد بن يوسف الاندلسي ـ البحر المحيط / مطبعة السعادة مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ.

٣ ـ **الخطابي** ، أبـو سليمان ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان اعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر.

٤ ـ **الخطيب** ، عبـد الكريم / القصص القرآن في منطوقه ومفهومه / دار الفكر العربي ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

٥ ـ **الخطيب الاسكـافي** ، ابو عبد الله محمد / درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات برواية ابن ابي الفرج الأردستاني / دار الآفاق الجديدة ـ بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م.

٦ ـ **الرافعي** ، مصـطفى صادق ـ اعجـاز القرآن والبلاغة النبوية / دار الكتاب العربي بيروت الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٧ ـ **الزركشي** ، الإمام بدر الدين بن عبدالله ـ البرهان في علوم القرآن ـ تحقيق محمد أبـو الفضـل ابراهيم / دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م الطبعة الاولى.

٨ ـ **الزمخشري** ، محمود بن عمر ـ الكشاف عن حقائق التأويل ـ مطبعة الاستقامة ، مصر ، الطبعة الاولى.

٩ ـ **السماحي** ، الشيخ محمـد محمـد ـ مذكـرات في التفسـير المـوضـوعي لطلبـة الدراسات العليا.

١٠ ـ السيوطي ، الامام جلال الدين بن ابي بكر ـ الاتقان في علوم القرآن ـ تحقيق ابى الفضل ابراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥م .

١١ ـ ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم ـ تأويل مشْكِل القرآن ـ بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٢ ـ قطـــب ، سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ الطبعة الخامسة ، ١٩٨٦هـ ـ ١٩٦٧م .

١٣ ـ قطـــب ، محمد قطب ـ دراسات قرآنية ـ دار الشروق ، بيروت .

١٤ ـ مجلـــة ، مجلة لواء الاسلام ـ العدد السابع السنة الرابعة / مقال للشيخ محمد الخضر حسين (التكرار في القرآن)

١٥ ـ الهمذاني ، عبد الجبار الاسد آبادي : المغنى في أبواب التوحيد والعدل / قوَّم نَصَّـه أمـين الخولي / الجمهورية العربية المتحدة ـ وزارة الثقافة والارشـاد القـومي ـ الادارة العـامـة للثقـافة ـ الطبعة الأولى ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م ، مطبعة دار الكتب .